الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي بعنوان :

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق

للدكتور صبحي إبراهيم الفقي

الفرع : الدراسات اللغوية.

التخصص : اللسانيات العربية.

من إعداد الطالبين :

~ بن عطية عبد الله

~ بوجناح محمد

أعضاء لجنة المناقشة		
د. مختاري يمينة	أستاذة محاضرة ب	رئيسا
أ. بويش منصور	أستاذ مساعد أ	مشرفا
أ.بوقرط الطيب	أستاذ مساعد ب	ممتحنا

السنة الجامعية : 2020 ~ 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من أُفضِّلها على نفسي، ولِمَ لا؛ فلقد ضحَّت من أجلي

ولم تدَّخر جُهدًا في سبيل إسعادي على الدَّوام

أُمِّي الحبيبة رحمها الله.

نسير في دروب الحياة، ويبقى من يُسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه

صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة.

فلم يبخل عليَّ طيلة حياته

والدي العزيز رحمه الله.

إلى أصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون، وفي أصعدة كثيرة

أُقدِّم لكم هذا البحث، وأتمنَّى أن يحوز على رضاكم.

~ محمد

إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ..

إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل أسمه بكل افتخار .. أدعوا من الله الرحمة على "والدي العزيز". رحمه الله

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب " أمي الحبيبة".

إلى من بها أكبر وعليه أعتمد .. إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي.. إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها.. إلى من عرفت معها معنى الحياة أختي.

إلى أخي ورفيق دربي وهذه الحياة بدونك لاشيء معك أكون أنا وبدونك أكون مثل أي شيء ..

وأهدها إلى جميع أسرتي وأحبابي.

~ عبد الله

مقدمة

الحمد لله خلق الإنسان، وهداه إلى أقوم سبل البحث ويسر له أسباب الفكر والنظر في ملكوت السماوات والأرض وصولا إلى المعرفة، والصلاة والسلام الدائمين على خاتم رسله ومصطفاه محمد بن عبد الله الذي أرسله برسالة الهداية والمعرفة الصفية النقية، والحكمة البالغة، ففتح الله بنورها الأبصار والبصائر واذهب بها الضلالات ومحي بها الغشاوات فكانت فتحا مبينا للبشرية حظت به نحو التقدم والتحضر أما بعد :

شكل النص مفهوما مركزيا في الدراسات اللسانية المعاصرة الغربية والعربية، حيث أختصت الدراسات التي بالنص بإسم " علم النص، لسانيات النص، لسانيات الخطاب أو نحو النص"...كلها تتفق حول ضرورة محاورة الجملة في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب، لقد تجاوزت الدراسات اللسانية النصية وأوسع.

بل واخصب في محاورة الفضاء الفني حدود البنية اللغوية الصغرى " الجملة " إلى البنية بنية لغوية أكبر منها في التحليل إلا وهي " النص "، إذ عد النص الصورة الكاملة والأخيرة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجتمع، إن دل على شيء إنما يدل على قيمة التماسك النصي.

وهذا الأخير يربطه مجموعة من الأدوات، ومنه قد تم اختيار الجزء الأول من كتاب " علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لدكتور صبحي إبراهيم الفقي " إذ يعتبر هذا الكتاب أسبق مدرسة لسانية عربية بين التنظير والتطبيق .

ويسعدنا من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة على بعض الاشكاليات، التي تبادرت إلى أذهاننا فيما يتعلق بعلم النص على النحو التالي :

- ما هو مفهوم علم اللغة النصي ؟
- هل يوجد تماسك في السياق والمتلقي ؟
- فيما تكمن أهمية الدراسات النصية ؟

فما كان علينا إلا دراسته دراسة تحليلية وصفية لفصول ومباحث هذه الجزئية من الكتاب سواء نظرية كانت أو تطبيقية من أجل الإجابة على مجموعة من الإشكالية التي ستتضح مع خطة بحثنا، إلا أنه يوجد مجموعة من دوافع ذاتية وموضوعية أدت بينا لإختيار هذا الكتاب ومنها :

~ كونه يتناسب مع تخصصنا كطلبة لسانيات عربية .

~ كذلك جانب التطبيقي منه الذي يميز ويفرق النص القرآني عن بقية النصوص.

وذلك بإستخراج أدوات التماسك النصي من جميع السور المكية، وبدون غض النظر عن جانب النظري من الكتاب كذلك يعتبر كدافع لأننا رأيناه بمتابة التأسيس والتقعيد للسانيات النصية، حيث اختصت الدراسات التي اهتمت بالنص.

معتمدين على خطة متضمنة مقدمة وتمهيد مفتتح للبحث، ومدخل وفصلين وخاتمة، ففي المقدمة تم عرض نظرة عامة حول الموضوع مع دوافع التي أدت إلى اختيار هذا البحث، والمنهج المتتبع والخطة ومصادر المعتمدة.

كما ذكرنا في تمهيد الجانب الخارجي والداخلي لكتاب " علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لدكتور صبحي إبراهيم الفقي ".

وفي المدخل ذكرنا أسباب المؤلف هذا الكتاب، وأهمية الكتاب وأهدافه والمنهجية المتبعة في تأليفه حول مفهوم النص، ثم إنتقلنا للفصل الأول المعنون بـ : " مدخل مفاهيمي "،وقسمنا هذا الأخير إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول كان بعنوان " مفهوم النص عند العرب وعند الغرب "، والمبحث الثاني : مفهوم علم اللغة النصي، ثم المبحث الثالث كان بعنوان: أهمية الدراسات النصية.

مرورا للفصل الثاني تم عنونته بـ : " التماسك النصي "، كذلك تم تقسيم هذا الأخير إلى ثلاثة مباحث أولها : مفهوم التماسك النصي وأهميته، وثانيها التماسك والسياق والمتلقي، وآخرها: نماذج تطبيقية عن التماسك النصي وأدواته.

انطلاقا للخاتمة مع ذكر أهم النتائج التي توصل إليها المؤلف.

ومن المصادر المعتمدة في بحثنا : أولها الكتاب المدروس " علم اللغة النصي لدكتور صبحي إبراهيم الفقي، لسان العرب لإبن منظور، لسانيات النص خطابي، فقه اللغة وعلم اللغة لمحمود سلمان ياقوت، علم الدلالة لأحمد مختارعمر، دراسات في فقه اللغة صبحي صالح، وأخيرا دور الكلمة في اللغة إستيفن أولمان.

أما بالنسبة للصعوبات لم تواجهنا أي صعوبات كون الموضوع يناسب مع تخصصنا بل حفزنا للجد والاجتهاد والمثابرة.

تمهيد

1 - وصف المتن (الوصف الخارجي) :

- العنوان : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.
- تأليف : دكتور صبحي إبراهيم الفقي.
- دار النشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .
- البلد : القاهرة.
- سنة النشر : 1421 هـ - 2000م.
- الطبعة : الأولى.
- الجزء : الجزء الأولى .
- عدد الصفحات : 351.

2 - وصف المحتوى (الوصف الداخلي) :

بدأ صبحي إبراهيم الفقي كتابه " علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق " بمقدمة شملت أسباب اختيار الموضوع، وأهمية هذا الموضوع وهدفه، ثم منهجية الكتاب، ثم قسم كتابه إلى أربعة فصول، كل فصل له عناصره وهي كالنحو الآتي :

الفصل الأول فصل تمهيدي يتكون من أربعة مباحث : المبحث الأول " التعريف النص وعلم اللغة النصي وأهم المصطلحات "، المبحث الثاني: " أهمية الدراسة النصية "، ثم المبحث الثالث : " طبيعة الدراسة النصية "، وأخيرا المبحث الرابع : " موقف القدماء من التحليل النصي".

وبعد ذلك انتقل الباحث صبحي إبراهيم إلى الفصل الثاني المعنون بـ التماسك النصي " مع تقسيمه إلى أربعة مباحث وهي كالآتي : المبحث الأول : مفهوم التماسك النصي وأهميته، المبحث الثاني : التماسك والسياق والمتلقي، ثم المبحث الثالث : أدوات التماسك النصي، وبعد ذلك المبحث الرابع : نظرة القدماء إلى التماسك.

انتقل صبحي إبراهيم الفقي إلى الفصل الثالث الذي سماه " الضمائر " وقسمه إلى ثلاثة مباحث وهي : أولهما : دور الضمير وأهميته عند علماء العربية، ثانيهما : دور الضمير وأهميته عند علماء النصية، ثالثهما: التحليل النصي للسور المكية.

وبعد الإنتهاء الفصول الثلاثة ختم كتابه بالفصل الرابع المعنون بـ " التوابع " الذي قسم مثل الفصل الثالث إلى ثلاثة مباحث تتمثل فيما يلي : المبحث الأول : أهمية التوابع عند القدماء، ثم المبحث الثاني : أهمية التوابع عند النصيين، وأخيرا المبحث الثالث : التحليل النصي للسور المكية.

المدخل

إنّ اللغة المنطوقة أو المكتوبة تعد وسيلة من وسائل التواصل بين بني الإنسان، ومن ثمّ فقد حظيت بنصيب وافر من الدراسة منذ العشرات من القرون، وظهرت مدارس عديدة عبر هذه الفترات الزمنية، وقد كان من أحدثها المدرسة النّصية تلك المدرسة التي تعدت تحليلاتها اللغوية النظم التي تناولتها المدارس الأخرى التي انصب اهتمامها على الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى تعدت ذلك لتصل إلى وضع النص ليمثل الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك أن تحليل الجملة يعدّ قصورا في الدراسة اللغوية إذ لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي المتمثل في البنية اللغوية الكبرى ألا وهي النص .

وهذا ما دفعنا إلى دراسة كتاب علم اللغة النصي للدكتور صبحي إبراهيم الفقي إذ يعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر المدارس النصية الحديثة ومنه نطرح الإشكال التالي :

ـ ما دوافع تأليف هذا الكتاب؟

ـ فيم تكمن أهمية هذا الموضوع ،وما الأهداف التي يرمي إليها ؟

ـ ما المنهجية التي اعتمدها في تأليفه ؟

1 ـ دوافع تأليف هذا الكتاب :

مما لا شك فيه أنّ هنـــاك دوافــع كثيرة أدّت بـصـبـحـي إبراهيم الفقي لـتـألـيـف هذا الـكـتـاب حيث صـرّح هـو نفســه بندرة الأعمال اللغوية النصية خاصة في المكتبة العربية والحاجة الماســة للتعريف بهذه النظرية و تأهيلها، كما نجده يــؤكـد على تحليل أقـــدس الـنـصوص العربية تـحـلـيـلا نصيا معاصرا وذلك من خلال تطرقه إلى الإجــابة على مجموعة من الأسئلة نذكر منها على سبيل المثال : ما طبيعة هذه النظرية وما أهــدافها ؟ وكيف يمكن تحليل النصوص من خلالها ؟ وما الجديد الذي أسهمت به دون غيرها من المدارس السابقة ؟ وما هي أهم جوانبها ؟ .

وهل هناك جـذور لها في التراث العربي وغيرها من الأسئلة التي دفعت فضول الباحث إلى الإسهام في الإجابة عنها عبر هذا الكتاب .

وفك شفرة النــص العامة ، والنـّص القرآني خاصة عبر التحليل النصي المعاصر، من أهـــم الأسباب التي دفعـت الباحـث إلى تقديم هذا البحث من أجلها، فالـنـظرة الكلية إلى النص ثـم الحكم على تماسكه والأدوات التي أسهمت في تحقيق هذا التماسك، والتواصل بين

قائل النص ، والنــص ، والمتلقي والضوابط التي تتحكم في هذا كله، إضافة إلى الأهمية الكبرى للسياق في التحليل النصي.[1]

هــذه كلّــها أمــور تعد أسباب لاختيار الموضوع .

ولـما كان المجال التطبيقي للتحليل النّــصي - خاصة في الإسهامات الغربية - لم يتــعد النصوص الصحفية ، أو المقالات ، أو من قريحة مؤلفي هذه الكتب ، كانت الحاجة القصوى لاختيار نص أدبي من ناحية ، ومــقدس من ناحية أخرى ، وفصيح من ناحية ثالثة، وأهم نص تتوفر فيه هذه الشروط " القرآن الكريم " ومن ثمّ كان من أسباب اختيار

هذا الموضوع كذلك حاجة المكتبة إلى تطبيق أصول هذه النظرية الحديثة على نص مقدس ولما كان التطور سنة من سنن الحياة ، ومواكبة ركب هذا التطور في غير انفصال عن القديم تعد من الواجبات المنوطة بالباحثين للكشف عن الإسهامات القديمة ، والحديثة ، لتقديم نظرية متكاملة ، لما كان الأمر كذلك حرص الباحث على اختيار هذا الموضوع واختيار السور المكية يرجع إلى وحدة موضوعها حيث الحديث عن قضية العقيدة ومتطلباتها ، أيضا لوحدة مكان نزولها وزمانه ، والمكان والزمان من عناصر السياق المحيط بالنص وأيضا لأن التطبيق على السور المدنية مع المكية أمر على درجة كبيرة من الخطورة والصعوبة من حيث المنهج وعلمية البحث ومن الأسباب أيضا ما ذكره الباقلاني : " فأمّا نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه ... و أعلم أنّ هذا العلم شريف المحل عظيم المكان ، قليل الطلاب ، ضعيف الأصحاب ، ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطّن لما فيه ....."[2]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،ج1، 1421هـ - 2000م، 12 .

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 13 - 14 .

2 ـ أهمية الموضوع وهدفه :

وضح لنا صبحي إبراهيم الفقي أهمية هذا النمط من الأبحاث إلى عدم الاكتفاء بالجملة في التحليل اللغوي، نعم هي نواة النص، لكنها ليست البنية الكبرى للتحليل اللغوي، ومن ثم كان من الواجب تخطى بنية الجملة إلى بنية النص.

وبما أن اللغة تواصل بين المتحدث / الكاتب، والمستمع / القارئ، فقد أكدت هذه النظرية دور المتلقي، وأعلت من شأنه، ليصبح المنتج الثاني للنص أو المبدع الثاني له، فالعملية اللغوية كلها حوارا متصلا بين المبدع والنص والمتلقي، فالأخير دائما في حالة طرح لأسئلة عديدة على النص، والنص بدوره يجيب عن هذه الأسئلة، إضافة إلى أن المتلقي هو الجهة المتفردة بالحكم على " تماسك النص "، هذا التماسك الذي يمثل صلب النظرية النصية والذي تدور في فلكه أغلب جوانب التحليل النصي المعاصر.

وبين أيضا الباحث مهمة الروابط النصية، أو الروابط عامة، كانت محصورة على مستوى الجملة، باستثناء بعض الإشارات إلى اتساع هذه المهمة، أما علم اللغة النصي، فإن هدفه الأساسي هو تحليل النص كاملا، ومن ثم أصبح هذا الاتساع لمهمة الروابط من أهم ما يميز هذا التحليل، فقد تربط الأداة بين كلمتين أو عبارتين أو جملتين أو فقرتين أو عدة فقرات مكونة للنص، أو عدة فصول مكونة لكتاب كامل.

ويتضح ذلك جليا في باب الضمائر " الشخصية ـ الإشارية ـ الموصولة "، والتوابع مثل العطف خاصة، والمناسبة، والحذف، والتكرار، وغيرها من الأدوات التي وجد أن أبوتاب النحو العربي، أغلبها، يقوم على فكرة الإسناد، ومن ثم التماسك بين المسند والمسند إليه.

وبعدها أشار فيما تكمن أهمية النص المقدس الفصيح وأدبي، وليس من إنتاج بشري قابل للرد والتعديل، وهذا النص " السور المكية " خاصة، لأنها تحمل وحدة دلالية كلية تتمثل في أنها تتحدث كلها قضية " العقيدة "، الألوهية والربوبية والعبودية وما يتعلق بها من ذكر آلاء الله، والجنة، والنار، والقصص.[1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 14 - 15 .

وغير ذلك والوحدة الدلالية هذه تمثل " التماسك النصي " في أعظم صورة له، ومن ثم كان هدف الدراسة إثبات دور أدوات التماسك النصي في تحقيق هذه الدلالة، انطلاقا من مراعاة التماسك بين الكلمات المكونة للجملة، إلى مراعاة التماسك بين السور المكونة للنص المكي كله.

وأثناء هذا الإثبات تمت معالجة دور المتلقي، والسياق، والتناص بذكر قصص داخل نص السورة ليتلاحم مع موضوع السورة الأساسي وعنوانها لتحقيق الهدف منه، من هذا القصص، فلم يكن هذا الاستدعاء للقصص لذاتها، بل لموضوعها، وكيفية إسهامها في ترسيخ ما تهدف السورة إليه، فلم يكن هذا القصص منفصلا عن السورة، وهذه الأمور هي الممثلة لعناصر التحليل النصي المعاصر الذي تهدف إليه الدراسة.

وهذا الهدف انعكس على منهجية البحث كما يلي :

3 ـ منهجية الكتاب :

وضح لنا صبحي إبراهيم الفقي أن هذا العلم أحدث المدارس اللغوية في التحليل، ومن ثم تتضح الحاجة إلى تأصيل هذا العلم وتنظيره، وعليه اشتملت الدراسة على المقدمة التي نحن بصددها، والفصل التمهيدي الذي تحد عن التعريف بالنص وعلم اللغة النصي وأهم المصطلحات التي أفرزها هذا العلم، ثم العرض لأهمية التحليل النصي وطبيعته وموقف القدماء من هذا التحليل.[1]

ولما كان التماسك النصي أهم مظاهر التحليل النصي، بل هناك من رأى أنه القضية الأساسية للتحليل النصي، ولما كان اعتماد الدراسة على هذا التماسك، أصبح من الضروري إراد فصل خاص به، ومن ثم كان عنوان الفصل الثاني " التماسك النصي "، وعرض فيه لمفهومه، ورأى الباحث في المفاهيم المتعددة، وكيفية التنسيق بينها.

ثم إنتقل الباحث إلى الشق الثاني من الدراسة، الشق التطبيقي، وذلك بتفصيل دور أهم أدوات التماسك النصي في إيضاح التحليل النصي المعاصر، فكان عنوان الفصل الثالث " الضمائر" وعرض فيه لأهميتها بين علماء العربية والنصية بإيجاز، ثم التحليل النصي للنماذج المختارة من السور المكية مهمة المرجعية الداخلية بفرعيها السابقة واللاحقة، والخارجية،

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 16 .

ومهمة السياق في بيان المرجعية في حالة الغموض المرجعي لها، وأن إدراك هذا السياق يناط إلى المتلقي، إذ إن إدراك السياق من الشروط الواجب توفرها لدى المتلقي.

ثم إنتقل إلى الفصل الرابع من الدراسة ليعالج إسهام التوابع، بوصفها أداة من أدوات التماسك النصي، وقد أثبتت الدراسة أن النعت والتوكيد يسهمان أيضا في تحقيق التماسك وهذا لم يذكره النصيون، بل اكتفوا العطف والإبدال فقط.

وخصص الباحث الفصل الخامس لعرض دوره في تحقيق التماسك النصي، وذلك بعرض رؤية كل من القدماء والمحدثين له، وعرض أنواعه وأغراضه بإيجاز شديد.

وبالإضافة الجديدة أيضا في هذه الدراسة تتمثل في ذكر أداة على درجة كبيرة من الأهمية في تحقيق التماسك النصي، ولها دور واضح في التحليل النصي، ومع ذلك لم يذكرها علماء النصية، وهي " المناسبة "، وهذا يرجع لطبيعة النصوص التي قاموا بتحليلها.[1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 17 - 18 .

الفصل الأول

مدخل مفاهيمي

- **المبحث الأول :** مفهوم النص عند العرب وعند الغرب.
- **المبحث الثاني :** مفهوم علم اللغة النصي .
- **المبحث الثالث :** أهمية الدراسات النصية.

المبحث الأول : مفهوم النص عند العرب وعند الغرب .

تعريف النّص : لقد أشار الدكتور إبراهيم الفقي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في تعريفه للنص معتمدا على لسان العرب لابن منظور ومعجم الوسيط. فقال: إنّ مصطلحات علم اللغة - في الغالب - يقترب معناها اللغوي بمعناها الاصطلاحي ، إذ يدور الأوّل حول مجالات دلالية معينة يمكن من خلالها التقريب بينها وبين المعنى الاصطلاحي .

ومصطلح "النّص" من بين مصطلحات علم اللغة وأيضا وجدنا معناه اللغوي يدور في مادة "ن ص ص " حول الأمـــور الآتيـة[1] :

" النّـــص :رفعك الشيء . نـصّ الحديث ينص نصا : دفعه . وكل ما أظهر ، فقد نصّ ، ونصصت الظبية جيدها : رفعته ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة : ما تظهر عليه العروس لترى ... ، ونصصت المتاع إذ جعلت بعضه على بعض ... وأصل النّص أقصى الشيء وغايته ... ونصّ كلّ شيء منتهاه ...

والنصّ أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها ... ونصّ الحقاق منتهى بلوغ العقل[2]."، والنّص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف[3].

والنّص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف.

1- الرفع .

2 – الإظهار.

3 – ضم الشيء إلى الشيء.

4 – أقصى الشيء ومنتهاه .

ومن خلال ما سبق فهو لا يريد أن يحمل النصّ أشياء لا ينطق بها ، ولكنه يلاحظ أنّ الرفع والإظهار يعنيان أنّ المتحدث أو الكاتب لابدّ له من رفعه وإظهاره . لنصّه كي يدركه المتلقي (المستمع أو القارئ).

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) 2000 ص 27- 28 .

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دت، المادة " ن ص ص ".

[3] مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دت، 927/2 .

وكذلك ضمّ الشيء ، كما لاحظ أنّ النّص – في كثير من تعريفاته – هو ضمّ جملة إلى جملة بالعديد من الروابط وكون النّص أقصى الشيء ومنتهاه هو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها ،إذ يعد النص ممثلا للمستوى السادس من مستويات علم اللغة المتعارف عليها[1].

ومن الملاحظ أنّ الدكتور صبحي إبراهيم الفقي توصل إلى اعتبار النّص مستوى من مستويات علم اللغة .

كما نجد صبحي إبراهيم الفقي قد حدد مجموعة من المعايير التي لا يخرج عنها المفهوم الاصطلاحي للنص المتمثلة في :

- كون النّــص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما .
- مراعاة الجانب الدلالي .
- مراعاة التحديد الحجمي (طول النّص).
- مراعاة الجانب التداولي .
- مراعاة جانب السياق ، وهو متعلق بالمعيار السابق.
- مراعاة جانب التماسك ، وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النّصي .
- مراعاة الجانب الوظيفي للنّص .
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي .
- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية ، مثل الكفاءة والأداء .... وغيرهما .
- إبراز كونــه مقيدا .

كما اعتبر هذه المعايير بمثابة سمات للنّص الكامل ، وقال أيضا : إذا اختلت سمة من هذ السمات يمكن أن نطلق عليه نصّا ناقصا ولذا يمكن أن نعدها شروطا ينبغي توفرها حتى يمكن أن نطلق عليه نصا كاملا ولقد تطرق في تعريفه الاصطلاحي للنّص مستندا إلى العالم الغربي هاليدي والدكتورة رقية حسن.

فقال : يرى هاليدي ورقية حسن أنّ كلمة النّــص تستخدم في علم اللغة للإشارة على أي فقرة .

1 المستويات المتعارف عليها هي : الصوتي ـ الصرفي ـ المعجمي ـ النحوي ـ الدلالي، المستوى السادس الذي اقترحه الباحث يتمثل في المستوى النصي ss.TEXTUL . LEVEL [1]

مهما طالت أو امتدت... SPOKENOR WRITTEN منطوقة أو مكتوبة ANY PASSAGE والنّص هو وحدة اللغة المستعملة ، وليس محدد بحجمه... والنّص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة ، والنّص لا بد أن يختلف عن الجملة في النوع وأفضل نظرة إلى النّص أنّه وحدة لذا MEANING لكنها معنى FORM وهذه الوحدة ليست شكلا ASEMANTIC UNIT دلالية .

فإنّــه – أي النّص – يتصل بالعبارة أو الجملة بالإدراك لا بالحجمREALIRATION [1] غير أنّهما قد أضافا في مؤلف آخر حيثيات أخرى على تعريف النص فيقولان : " نــحــن لا نستطيع تحديد النّص بطريقة مبسطة بالقول أنّـــه اللغة الوظيفية ، ونعني بالوظيفية – ببساطة – اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات Language that a doing some jobin context .

لذا فأي مثال من لغة الحياة يؤدي دورا أو بعض الدور في سياق الحال ، سوف نطلق عليه نصّا ، وهذا ينبغي أن يكون إمّا منطوقا أو مكتوبا أو بالفعل بأي وسيلة أخرى للتعبير نود أن نفكر بها . والنص أساسا وحدة دلالية A TEXTE IS TESSENTIALLY،، والنص تبادل المعنى بين المشتركين Product and Processانــتاج وعـمليات ... . والنـــــــص في الحديث مثل الحوار.[2]

فقد أضافا في التعريف الثاني ارتباط النص بالسياق ، فالسياق إذن يؤدي دورا بارزا في تفسير- النص القرآني - كما سنرى ذلك في الجانب التطبيقي من البحث ، وقد أضافا أيضا أمرا جديدا وهو أنّ النص .

لا ينبغي أن يكون بالضرورة مكتوبا أو منطوقا فقط بل بأي وسيلة أخرى من وسائل التعبير وهذا بطرح السؤال : هل لغة الإشارة بأي عضو من أعضاء الجسم تعدّ نـصّا وإذا كانت كذلك فكيف يمكن تحليله بناء على أسس علم اللغة النصي ؟.

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 29،
[2] المرجع نفسه، ص 29 .

والإضافة الأخيرة للتعريف الأوّل هي إبراز وظيفة المتلقي أو المستقبل للنص المنطوق أو المكتوب ويقولان في موضع آخــر تحت عنوان النّص :" والنّص يمكنه أن يكون له أي طول لأنّه ليس سلسلة قياسية من الوحدة النحوية وليس محتويا على جمل ، إنّــه لا يرتبط بالجملة إلاّ بوصفه محدد القانون وبعض النصوص تتشابه فالحقيقة من حيث أنّها يمكن أن تكون أقل من جملة واحدة في التركيب النحوي .

مثل : العناوين – الإعلانات – الإهداءات – وشعارات الإعلان عن السلع – غالبا ما تحتوي على قول فعلي أو اسمي أو ظرفي أو شبه جملة على سبيل المثال :

NO SMOKING –SIFE OF EARLY CHAPEL –NATIONAL WESTMINNSTER

.BANK-DO NOTE LEED

طول نص VIPER TEXT[1] فلا يوجد تحديد فوقي ويؤكد دافيد كريستال DAVID CRISTAL

في تعريفه للنّص على الامتداد وكونه منطوقا أو مكتوبا .

ثمّ يــؤكّد على الوثيقة الاتصالية ثمّ يذكر نماذج للنص مثل التقارير الإخبارية وإشارات الطريق وغيرها.

ويلاحظ أنّــه مثل للنصوص الطويلة بالتقارير الإخبارية والقصائد ، ومثل النصوص ذات الكلمة الواحدة ، لكنّها تحمل دلالة كاملة مثل النّص الطويل وذلك في إشارة التحذير والتأكيد على السمة التواصلية للنص أمر طبيعي ، وذلك لأنّ التواصل هو من خصائص اللغات بصفة عامة بين المرسل والمستقبل، وإن كانت ليست الوسيلة الوحيدة للاتصال بين بني البشروالنّص كذلك هو التحيل الحرفي للحدث التواصلي.[2]

كما يرى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أنّ أحد الباحثين قد جمع في ثنايا كتبه أكثر من أربعة عشر مفهوما للنّص ، أغلبها يدور في تلك التعريفات السابقة بيد أنّ بعضا منها يؤكد أمورا غير موجودة فيما سبق ذكره منها : نجد لتعريف هارفج بأنّ النّص : " ترابط مستمر للاستدلالات التي تظهر الترابط النحوي في النص ، وهو بذلك يحدد خاصية الامتداد الأفقي للنص من خلال ترابط تقدمه وسائل لغوية معينة أمّا سميث فيشترط وحدة الموضوع الذي

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص22 .
[2] المرجع نفسه، ص 23.

يدور حوله النّص ..... وفايفرش (.....) يذكر أنّه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا .....[1].

فالنص كل تترابط أجزاؤه .... وحدّه برينكر بأنّه تتابع متماسك من علامات لغوية ....ويحاول برينكر في تعريف آخر أن يدخل عنصر التماسك التداولي للنّص.....ويعرفه آخر من خلال تركيب النّص من عدة نصوص ... وهذا ما تحدثه عملية التنّـــاص .

ومنه نستنتج أنّ المؤلف يرى تأكيد هذه التعريفات الأخيرة على ضرورة توفر عناصر الترابط في أجزاء النّص كما أنها أكدت على وحدة الموضوع ، ومنه نطرح الإشكال كالآتي :

إذا كان النّص يشمل على عدة موضوعات ، أيكون نـصا أم ماذا ، كما أكــدت كذلك على النـــاحـيــة التداولية أو التماسك التداولي ، بمعنى مراعاة صلة النص بالموقف متضمنا المرسل أو المستـقبــل وقناة الاتصال ثمّ التأكيد على الاستبدال من نصوص أخرى ، وهذا ما سمـــي بالــتــناص .

كمـــا جاء بمجموعة من التعريفات ذلك التعريف الذي نقله كل من د. سعد مصلوح ، ود .سعيد بحيري عن روبرت آلا ندي بيوجراند (....) والفانج دلايسلار ، أنّه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ، ويزول عنه هذا الوصف إذ تخلف واحد من هذه المعايير :

1-السبك: أو الربـــط النـــحوي .

2-الحـبك : أو التماسك الدلالي. وترجمها د . تمام حسان بالالتحام.

3-القــصــد : أي هـدف الـنـــص .

4- القبــول أو المقبولية : وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النّص.

5- الإخبارية أو الإعلام : أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمــه.

6- المقامية : تتعلق بمناسبة النّص للموقف .

7- التنـــاص .

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ص29 .

فقال هذه المعايير ترتكز على طبيعة كل من النص ومستعمله المتحدث والمتلقي والسياق المحيط بالنص والمتحدثين .

كما نجد الدكتور صبحي إبراهيم الفقي يرى بأنّ هذا التعريف يحمل في طياته أغلب مفاهيم النص السابقة .

كما نجده يميل إلى الأخذ بهذا التعريف الأخير حيث أنّه يراعي المتحدث أو المرسل أو المستقبـــــل ويراعي لذلك السياق ، كما يراعي النواحي الشكلية والدلالية وإن كان ينقصه مراعاة طول النّص .

فالتعريفات السابقة لم تؤكد أنّ النص من الضروري أن يكون ذا طول معين كما أكّد على التماس هذه المعايير جميعها في الجانب التطبيقي من الكتابة وذلك عند الدراسة التحليلية للسور المكيّة .

المبحث الثاني : مفهوم علم اللغة النصي .

إذا كان هذا مفهوم النّص ، فما هو مفهوم العلم الذي يعالج هذا النّص ؟

تعريـــــف مصطلح علم اللغة النّصي :TEXT L INGUISTICS :

في الحقيقة لم يجد صبحي إبراهيم الفقي خلافا حول هـذا المفهــوم بالصورة نفسها التي وجدت في تعريفات مصطلح " النّص" وتتفق التعريفات حسبه تقريبا على أنّه " فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة أو المكتوبة ...." وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنظم بها أجزاء النص لتخبر عن الكل المفيد[1].

وكذلك هو الدراسة اللغوية لبنية النصوص .

يرتبط بتحليل اللغةDISCOURSE ANALYSIS وإن كان ديفيد كريستال يذكر أنّ تحليل الخطاب يرتبط بتحليل اللغة المكتوبة ولكنّه أكّـــد بعد ذلك أنّ TEXT ANALYSIS المنطوقة . بينما تحليل النص التحليل سواء أكان نــصا أم خطابا فإنّه يشمل كل الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة مع تحديد " الوظيفة التواصلية " .

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص34 .

أنّ علم اللغة النّص يعني - في العادة - الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي الشكلي NILS ويذكر والدلالي .

مع تأكيده أهمية السياق ، وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النّص .

ركّــز فيه DISCOURSE MARKERS كتابا كاملا بعنوان DEBORAH SCHIFFRIN هذا وقد ألّف على تحليل الخطاب ، وعرّفه بأنّه تحليل اللغة في الاستعمال ، وربط بين اللغة أو النّص والمتلقي .

والسياق المحيط . غير أنّه استخدم مصطلحات تحليل النص التي ذكرها غيره مثل هاليدي ورقية حسن وهذه المصطلحات بدلالتها نفسها في تحليل النّص ، وطريقة التحليل نفسها .

وعليه فإن الوسائل التي تستعمل في التحليل النّصي واحدة فلا مبرر لتقسيم اللغة إلى الخطاب والنص فكليهما فيما يرى لا فرق بينهما .

إذن علم اللغة النّصي – فيما يرى – هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة ، الذي يهتم بدراسة النّص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى ، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه والإحالة أو المرجعية ، وأنواعها ، والسياق النّصي ، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) ، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء.

أما الناحية التاريخية لهذا العلم (علم اللغة النصي) فهذا أمر ليس ذا أهمية شديدة حتى نستطرد فيه .

ويكفي أن نعلم أنّ هذا العلم من الصعب أن ننسبه إلى عالم لغوي بعينه يمكن أن نعده رائد هذه المدرسة ، ولكن الذي أكــده الباحثون أنّ " أجرومية النص قد ولدت من رحم البنيوية الوصفية القائمة على تلميذ بلوم فيلد وأستــاذ ZILLING HARRIS أجرومية الجملة في أمريكا ، وكان مقال زيلنج هاريس تشو مسكي ثمّ مريديــه فيما بعد عن تحليل الخطاب " .... من معالم الطريق في هذا الاتجاه .[1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 41 .

ثمّ شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوروبا ومناطق أخرى من العالم توجّها قويا نحو الاعتراف بأجرومية النص بديلا موثوقا به لأجرومية الجملة .... [1]

وعلى الرغم من أنّ مصطلح " تحليل النصوص " كان معروفا منذ فترة طويلة – على حد تعبير د./ صلاح فضل- وكذلك عبارة " تأويل النصوص " خاصة في الدراسات اللغوية والنقدية ... فإنّ علـــم النـص يطمح إلى شيء أكثــر عمومية وشمولا .

المهم أنّ هذه الإسهامات الكثيرة في مجال علم اللغة النّصي منذ الستينيات وحتى الآن قد أفرزت جـوانب مهمة ومعالم بارزة سوف نستفيد منها بصورة كبيرة كما سيستفيد منها الكثير من الباحثين في أبحاثهم النظرية والتطبيقية .

المبحث الثّالث :أهمية الدراسة النصية.

انطلقت النداءات بضرورة الخروج من بوتقة التحليل على مستوى الجملة إلى التحليل على مستوى أكبر هو التحليل على مستوى النّص ، انطلقت من الإحساس القوي بأن نحو الجملة لم يعد كافيا لإشباع حاجة المحلل اللغوي ،إذ الجملة لا تقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمـــه النّص ، فما الجملة إلّا جزء صغـير بالقيـاس للنّص ، ومـا يقدّمـــه النّـص يمثـل المعنى الكلّي ، على حين الذي تقدمـــه الجملة يمثل جزءا فقط من المعنى العام .

وهذا ما لا يجعل د .صبحي إبراهيم الفقي يطرح نحو الجملة خلفه ، بل العكس هو الصحيح ، لأنّـــه كما يمثل الحرف نواة الكلمة ، والكلمة نواة الجملة ، فكذلك الجملة تمثل نواة النّـــص ، فالنص عبارة عن متتاليات من الجمل في الأغلب ، بصرف النظر عن كونه جملة واحدة أو كلمة واحدة .

وكذلك معظم العلاقات النّصية هي علاقات قائمة على العلاقة بين الكلمات داخل الجملة الواحدة ، ثمّ بـين الكلمات داخل عدة جمل . والدكتور صبحي إبراهيم الفقي ليس في إطار الدفاع عن الجملة أو النص ، ولكن العرض الموضوعي الذي يؤكد عدم الاستغناء عن أي منها ، فالثـاني قائـــم عن الأوّل .

أنّ النـحـو على مستوى الجملة لا يقدم العلاقات بين الجمل بصورة كافية كما يقدّمها علم النّص ، وكذلك الجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكليّة ، إضافة إلى أنّ الجملة المجردة عن السياق ، تقدم الدلالة الكاملة .

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 49 .

وإذا كان النحو العربي وغيره قد انطلقوا من نحو الجملة ، وانحصرت التحليلات النحوية في هذا الإطار فإنّ هـذا ليس قصورا فيها ، وإنّما هو راجع إلى الأسباب التّي من أجلها تمّ القيام بتقعيد اللغة ، فقد كان من أهمها الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة ، ومن ثم كان الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة ، إذن لم يرتبط الحكم بالصحة أو عدمها بالنّص بل بالجمـلة ومكونـاتـها الصوتية والصرفية والمعجمية .

والواقع أنّ موقف البلاغيين كان غير موقف اللغويين ، فقد انطلقت مباحث عديدة في علم البـلاغـــة من منطلق المعالجة النصية مثل الإيجاز والفصل والوصل وغيرهما . بل نظرية النظم نفسها أكدت التضام والاتساق بين الكلمة الأولى والثانية والثالثة ... إلى نهاية المعنى المراد كما يرى د . صبحي إبراهيم الفقي .

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى دور المفسرين ، فقد كان أبرز الأدوار في المعالجة النصية ، كما سيتضح ، وهذا طبيعي ، فعملهم يقوم أساسا على النظرة غلى النص القرآني كاملا، إلى درجة أنّهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة، كله آخذ بعضه بيد بعض، فأكدوا التماسك الصوتي، والصـرفـي، والنحوي ، والمعجمي والدلالي ، وكذلك التماسك النّصي . وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلـمة الواحدة ، وكلمات الجملة الواحدة ، وجمل النّص الواحد ، ونصوص القرآن كله وهكذا .

ولأهمية النظرة النصية وجد الدكتور إبراهيم الفقيه هاليدي ورقية حسن يؤكدان أنّ فهم اللغة يكمن في دراسة النصوص)The study of texts .

وأكد غيرهما أنّه كي نرسخ المنهج النّصي فلا بد إذن من حدوث ما يشبه تغيير القبلة البحثية ، وذلك بالانتقال بالنحو العربي و(اللسانيات العربية بعامة) من ...أسوار الجـــملة إلى الكـــــلام أو النحو (بالمفهوم الواسع للمصطلح)ليكون قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه ، والكشف عن علاقاته التي تتحقق بها نصية النص بما هو حدث تواصلي مركب ذو بنية مكتفية بنفسها قادرة على الإفصـــاح والتأثيـــــر والفـــعل.

فالجملة إذن تمثل – في غالب الأحيان – بنية غير مكتفية بنفسها ، بمعنى أنّ الجملة المجردة تحتاج إلى جاراتها من الجمل حتى تتضح دلالاتها وضوحا كاملا ، وحتى يتحقق الإخبار والإعلام المقصود مـــن وجود النّص .[1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 50 .

والنّص يرتكز على الجملة – كما ذكر د صبحي إبراهيم الفقي – ارتكازا شديدا ، ولا يمكــن بطـــــرح إمكانيات متعددة للفهم و فضاءات أوجب للتفسير .. وإذا كان السياق ينقسم إلى سياق اجتماعي أو سياق الحـــال ، وسياق لغــوي ، فإنّ النــصّ يمــثـــل السيــاق اللغوي بالنسبة للجملة ، ومن ثمّ تبرز أهمية عدم الفصل بينهما .

ولم يكن الاهتمام بنحو الجملة فقط من قبل النحويين العرب ، بل كان محور اهتمام المدارس الوصفية، والتحويلية التوليدية حتى قبل ثلاثين عاما من الآن تقريبا. ولكن بعد ذلك " عـــدّ علم لغة النّـــــص في رأيهم تطويرا وتوسيعا لعلم لغة الجملة ... وقد استطاع هاريس بمناهجه النّصية المبكرة التي اعتمدها في (تحليل الخطاب) تطوير المناهج البنائية في تحليل الجملة " .

وقد كان الاتصال الوثيق بين كل من علم النحو وعلم البلاغة وعلم النقد وعلم الشعر أيضا ، من بين الأسباب التي أدت إلى الإحساس القوي بضرورة توسيع الدراسات القائمة على الجملة إلى دراسات ذات إطار أوسع يتمثل في النّص " فالشعر ، على سبيل المثال ، من بين أسسه النقدية الوحدة العضوية ، وهي تنطلق من مراعاة القصيدة كاملة لا مراعاة جزء منها أو جملة واحدة منها أو جملة واحدة منها ومن ثمّ برزت أهمية المعالجة التي تتخطى مجال الجملة إلى مجال أرحب هو مجال النّص .

ومن بين هذه الأسباب كذلك ، أن أوجــه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة فقط لم تعد كافية فقط لتغطية مستوى النّص فعلى سبيل المثال الجملة الموجزة والجمل المفسرة لها ، هذه لا تعتمد على الروابط الشكلية في الجملـــــة مثل (هو) و(هي) في العربية ، ولكن نعتمد على الدلالة كذلك التي تتولد من ربط الجملتين معا.

ويرى د. صبحي إبراهيم الفقي أنّ من أسباب اللجوء إلى الدراسة النّصية كذلك العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص وهذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية ، فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة ، بل النظرة النّصية كما بمفهومها الواسع .[1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ص 51 .

الفصل الثاني

التماسك النصي

- **المبحث الأول** : مفهوم التماسك النصي وأهميته.
- **المبحث الثاني** : التماسك والسياق والمتلقي.
- **المبحث الثالث**:نماذج تطبيقية عن التماسك النصي وأدواته.

المبحث الأوّل :مفهوم التماسك النّصي وأهميته .

في الحقيقة قد اشتمل علم اللغة النصي – كما ذكر د. صبحي إبراهيم الفقي – على مصطلحات عديدة، كل منـــها يمثل جانبا من جوانب هذا العلم ، قد تتضاءل أهمية جانب، علـــى حين تتزايد أهمية جانب آخـــ، بل يمكن أن يمثل جانب أساسا للعلم، وهذا ينطبق على المصطلح الذي نحن بصدده، مصطلح التماسك النّصي .

فقد نال اهتمـــامـــا كبيـــرا من علماء النّـــص، بـــدايـــة Cohésionولأهميـــة التمـــاسك الـــنّـــصي بتوضيح مفهومـه ومرورا ببيان أدواتـــه ووســـائله، وعـــوامـــله[1] وشروطه، والسياق المحيط بالنص، وعلاقته بالنّص،.....وانتهاء بوضع نماذج تحليلية، توضح هـذه الأمور كلّها .

وإدراكا لأهميته أيضا رأى د. صبحي إبراهـيـــم الفقـي بعضا من علماء اللغة قـــــــد جـعلوا عناوين .

وقد أكـــدا في هذا Cohésion in english كتبهم تحمل هذا المصطلح، مثل كتاب هاليدي ورقية حسن المؤلف التماسك لدرجة تجعله يقول او يعتقد أنّ النص ما هو إلاّ تماسك، فهل التماسك بالفعل هو كـــل شيء في التحليل النّصي ؟.

وقد أصبح للتماسك حضور واجب في أي نـص، ذلك أنّ كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك عـــادة مع الجملة السابقة، مباشرة. من جهة أخرى، كل جملة تحتوي – على الأقل – على رابطة واحـــدة تربطها بما حدث مقدما، وبعض آخـر من الجمـل يمكن أن يحتوي على رابطـــة تربطها بما ســـوف يأتي ، لكن هذه نادرة جـدا ، وليست ضرورية لتعيين النّص "[2].

إذا خـلا النّص من هذه الأدوات ، سواء أكانت شكلية ، أم دلالـية ، فإنّه يصبح جملا متراصة لا يـــربط بينها رابط ، ويصبح النّص – إذا عددناه خينئذ نـــصّا –جسدا بلا روح وأهمية الإحالة لما يتأخر ، لا نقول إنّ دورها يعد ضئيلا بالقياس لدور الإحالة لما تقدم ، ففي العربية نرى دور ضمير الشـأن واضحا بينه وبين ما يفسره فيما بعد . لكن الضمائر التي تحيل على ما سبق كثيرة جدا .

[1] صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق .
[2] المرجع نفسه.

والسؤال الذي يفرض نفسه نتيجة لما سبق : هــل يعدّ التماسك النّصي كل شيء في التحليل النّصي ؟Cohésion إجابة هـذا السؤال تقتضي العرض الموجز لتفريق علماء اللغة بين مصطلحين، هما:

يعني " العلاقات التي تربط معاني الأقـوال في الخطاب ، أو cohérence ، فمصطلح cohérence معاني الجمل في النّص . هذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدثين –(السياق المحيط بهم)- على سبيل المثال :

- هــل يمكنك توصيلي للمنزل A:could you give me a lift home
- معذرة سأزور أخــتي B:sorry , I mvisitin , my sister

فــــلا توجـد روابـــط نحوية أو معجمية – (أي شكلية) – بين السؤال والإجـــابـــة، لكـن حـــدث التماسك لأنّ كـلا من ويعرف أنّ أخت تعيش في الاتجاه المقابل لمنزل.

وبصفة عــامة يصبح النّص متماسكا إذا وجدت سلسلة من الجمل تطوّر الفكرة الرئيسية ..... [1]. أو الحبك كما ترجمه د . سعد مصلوح يعني الاستمرارية الدلالية ، التي cohérence ومن ثمّ فمصطلح تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم على حين يجعلها كريستال " الاتصالات المنطقية ، المقدرة للاستعمال اللغوي ".

متضمنا علاقات المعنى العام لكل طبقات النّص ، والتي تميـز cohesion ويجعل هاليدي ورقية حسن النّصي من اللا نصي ويكون علاقة متبادلة مع المعاني الحقيقية المستقلة للنص مع الآخـــر، فالتماسك إذن لا يركز على ماذا يعني النّصي بقدر ما يركز على كفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا Cohérence cohesion للتماسك الدلالي ومع ذلك جعل غيرهما معنى Cohérence فهما لم يستخدما مصطلح " العلاقات النحوية أو المعجمية بـــين Cohesion مـرتبطا بالروابط الدلالية على حين يعني مصطلح العناصر المختلفة في النّص. وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة على سبيل المثال :

A :IS Jenny coming to the party ?

she is ,B :Yes

[1] صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق.

(Is)و(Is coing) و أيضا بين (jenny)و (she فيوجد رابـــط بين)

B :IF you are going to London ,I can give you the address of agood hotel there.

الربط بين الـــذي cohérence هنا يرتبط بالروابط الشكلية، عكس المصطلح Cohesion ولا يخفى أنّ معنى يهتم بالروابــط الدلالية .

ويخصصه د. سعد مصلوح ، بعد ترجمته ، بمصطلح السبك بالوسائــل التي تتحــقــق بـــــها خاصيـــة الاستمرارية في ظاهــر النّــص .....أي الأحــداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعـاقـبـــــها الزمني ، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق . وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية .... ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي ، ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي :

1- فـي الجـمـلــة .

2- فـيـما بين الجـمـل.

3- في الفـقـــرة أو المـقــطــوعــة .

4 ـ فيما بـيــن الـفـقـرات أو المقطوعـــات .

5- في جـمــلــة الـنّـــص .

ويجعله كريستال متــصلا بالبنية السطحية الشكلية للنّص، ويرى د. صبحي إبراهيم الفقي – بدلا من هذا الاختلاف – أنّ المصطلحين يعنيان معا التماسك النّصي، ثمّ نقسمه إلى التماسك الشكلي، Cohesion ومن ثمّ يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن والتماسك الدلالي، فالأوّل يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النّص من ناحية ، وبين النّص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

بمعنى التماسك في فصول الكتاب كلها .Cohesion ومن ثمّ فقد اعتمد على مصطلح فالتماسك – بهذا المعنى – يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النّص الداخلية وبين النّص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، ومن بين هذه الأدوات المرجعية هذا التوضيح يؤدي بصبحي إبراهيم الفقي إلى الإجابة بأنّ التماسك النّصي هو أهم عناصر الموضوع، بمعنى أنّ التحليل النّصي يعتمد اساسا على التماسك في تحقيق النّصية من عدمه .

فالتماسك يهتم بالعلاقات بين جمل النّص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، مثل السور المكونة للقرآن الكريم، ويهتم أيضا بالعلاقات بين النّص وما يحيط به، ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملا، داخليا وخارجيا. بمعنى آخر يجد أنّ السياق والمتلقي والتواصل .....وغيرهم ، يمثلون العوامل المساعدة في تحقيق التماسك وفك شفرة النّص .

ومن علماء اللغة من جعل التماسك بين الجمل راجعا إلى التماسك بين الظروف المحيطة بها، فترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل، مترابطة فيما بينها وهذا جلي، فحين النظر إلى السور القرآنية – على سبيل المثال – نلاحظ أنّ فيها آيات متجاورة، وقد اختلفت مناسبات النزول في كل منها، ومع ذلك فهي متماسكة . ولكن هذا التماسك – فيما يرى د. صبحي إبراهيم الفقي راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة ، فالعديد من السور المكية تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء، مع العلم بأنّ لكل نبي قصة مع قومه، وقد يظن الظان أن هذه القصص غير متماسكة فيما بينها، لكنه يجد في النهاية أنّه يجمعها إطار عام، هو أنّ هذه القصص عبرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا لتخدم موضوع السورة الرئيسي وهذا هو الجامع العام لهذه القصص، وهو لا شكّ رابط دلالي، والظروف المنسوبة إلى كل قصة يمكن توحيدها في الدعوة والتكذيب والإيذاء وانتقام الله من المكذبين ، وهذا سوف يتضح أكثر في الفصل الخاص بالتكرار وعلاقته بالتماسك النّصي .

ومن الجدير بالذكر هنا أن من طبيعة التماسك ارتباطه بالتفكير، ذلك لأنّه أداة أو وسيلة أساسية للتفكير البشري[1].

وذلك لوجود صلة قوية بين اللغة والتفكير، فاللغة هي الأداة المحسوسة للتعبير عن الفكر.

ومن الباحثين من نظر إلى النّص نظرة تحويلية، فالتحويليون يجعلون لكل جملة بنية عميقة ، وهذا الأمر بالنسبة للنّص يظهر ظهورا surface structure وأخرى سطحية Deep structure قويا حينما يبدو النّص مفككا من السطح لكننا لا نلبث أن نتبين أنّ وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكها، وتفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشتتها الخارجي[2].

وهذا يفسر ما ذكره د. صبحي إبراهيم الفقي ، فقد وجد مجموعة من الجمل المتراصة لا يجمعها إطار شكلي أو رابط شكلي ولكن حين النظر إلى الإطار الدلالي الذي يتحكم في هذه الجمل المتجاورة، يتبين الخيط الذي يضم حبات هذا العقد فيما بينها . وهذا يرتبط بأدوات التماسك الدلالية، وبالرجوع إلى السياق المحيط بالنّص)[3] . وبقدرة المتلقي على اكتشاف ذلك التواصل الدلالي .

يتضح مما سبق إذن أنّ التماسك النّصي ذو طبيعة دلالية من ناحية ، وذو طبيعة خطيّة شكلية من ناحية أخرى ، وأنّ الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلي للنص .

وإذا كانت هذه هي طبيعة التماسك النّصي **فما أهميته ؟**

يرى د.صبحي إبراهيم الفقي ملخص إجابة هذا السؤال أنّ التماسك يربط بين أجزاء الجملة، وأجزاء النّص، وهذا الرابط دلالي شكلي . وهناك من يرى أنّ التماسك لا يركز على ماذا يعني النّص كصرح دلالي[4].

[1] صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق .
[2] سعيد بحيري، علم لغة النص، ص 121 .
[3] المرجع نفسه، ص 122 .
[4] محمد خطابي، لسانيات النص، ص12- 13

فهدف النّص، ليس من وظائف المحلل اللغوي للنص، إذ يركز فقط على الكيفية الشكلية والدلالية التي تلاحم النص من خلالها.

ولهذه الأهمية فقد أصبحت روابط التماسك بين الجمل هي المصدر الوحيد للنصية .....

وهذا يؤكد ما ذهب إليه د .صبحي إبراهيم الفقي من أنّ التماسك النصي هو أهم شيء بالنسبة للتحليل النصي، ومن ثم عده بعض الباحثين شرطا ضروريا وكافيا للتعرف على ما هو نــص وعلى ما ليس نصا..... ويتبين هذا من خلال الشكل التالي :

خصائص مميزة

مقطع لغوي (1) ـ كل موحد ـــــ نص وسائل تــماسـك المرسل .

مقطع لغوي (2) ـــــــــــــ جمل غير مترابطة ـــــــــــ لا نص.

ويرى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أنّ هذا الهيكل ينقصه امر مهم من الأمــور الواجب توفرها عند التحليل النصي من خلال التماسك، ألا وهو المتلقي، فله دور حيوي في الحكم على تماسك النص من عدمـه، وسوف نوضح ذلك الدور فيما بعد .

ومن الباحثين من عرض لأهمية التماسك، ولكن من ناحية البعد الزمني للنّص، فنحن نجد في كل يوم عناصر محادثة تدور حول الفقرات السابقة أو المبكرة، وقد فصل بينها عدة دقائق بل عدة ساعات من وقت المتحدث، والكتاب يستغلون هذا بصنع روابط تماسكية، عبر امتدادات طويلة جدا للنّص .

وهذا حدث – على سبيل المثال- في سورة المزمل، إذ نزل شطرها الأوّل ثمّ نزل الشطر الثاني منها بعد اثني عشر شهرا من الأوّل ومع ذلك حدث التماسك بين الشطرين من خلال العديد من الأدوات نخلص من هذا إلى أنّ أهمية التماسك النّصي تكمن في :

أوّلا : التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي .

ثانيا : إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية .

ثالثا : التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك .

رابعا : الربط بين الجمل المتباعدة زمنيا .

ولكن هل تمر عملية التحليل التماسكي هذه دون مصاعب تعترضها ؟

في الحقيقة لاحظ الباحث أنّ هناك مشكلة أساسية حين التحليل وتتمثل في الغموض ، خاصة حينما يتعدد المحال إليه سابقا، ولا نعرف إلى أي شيء يرجع الضمير، وكلما ازداد هذا الغموض، ازداد أمر تحقيق التماسك صعوبة .

وهذا لأن الغموض يؤدي إلى غموض الدلالة، وغياب الدلالة يؤدي لا ريب إلى غياب التماسك ..... وهناك مشكلة أخرى، وهي متعلقة بالسابقة، وهي غياب أدوات التماسك المعروفة أو بعضها، وفي الغالب تكون الأدوات الشكلية مثل الضمائر ، العطف ، التكرار ..... إلخ .

والحل في هاتين المشكلتين يتمثل في العثور على السياق المحيط بالنص أو معرفته، فمن خلاله تدرك الصلة بين الجمل التي لا تبدو بينها صلة .

ويضرب هاليدي مثالا لذلك، بقوله فإذا نظرت إلى هذين المثالين :

أ – دق جرس الباب .

ب- أنا في الحمام .

فمن الوهلة الأولى نفترض عدم وجود علامة واضحة للعلاقة بين الجملة الأولى والجملة الثانية . غير أنّ القارئ العادي سوف يشير بالطبع إلى أن هذين التعبيرين يكونان النّص ..... وسوف يفسر الثانية في ضوء الأولى أنّه سوف يشير إلى أنّه توجد " علامات دلالية " بين الجملتين وذلك في غياب العلامات الشكلية " الواضحة ".

لذلك فإنّ " الأمـــر الأساسي أنّ المشار إليه لابد أن يكون قابلا للتعريف " ، وهذا التعريف لا يأتي إلا لمعرفة السياق المحيط بالنّص ومن ثم " فالمعلومات المعطاة حول المشار إليه يمكن أن تكون هي الروابط المفقودة أو بدلا منها، وذلك لصنع اتصال بين الجمل . ويمكن أيضا الاستدلال بها لملء الروابط المفقودة بين الجمل، وهناك أمثلة عديدة يمكن معالجتها تحت هذا المنظور منها الجملتان :

أ- أنا اشتريت كتابا أمس ب- الفصول كثيرة جـــدا .

فالمعلومة التي تسهم في تحقيق التماسك بينهما هي :

جـ - الكتاب فـيــه فصـــول

ومنها أيضا الجملتان :

أ – أنا نظرت داخل الحجرة .

ب – السقف كان مرتفعا جـدا .

والمعلومات التي تسهم في تحقيق التماسك بينهما هي :

جـ : الحجرة لها سقف .

ويلاحظ الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أنّ المعلومة (جـ) تتبادر إلى ذهن المتلقي بمجرد سـمــاع الجملتين (أ) و (ب)، فمن الطبيعي أن الكتاب فيه فصول، وكذا من الطبيعي أنّ الحجرة لـــها - في الغالب – سقف، ومن ثم يستدل المتلقي على أنّ هاتين الجملتين متماسكتين، مع العلم أنّهما خاليتان من الروابط الشكلية . وهنا يبرز أيضا دور المتلقي في الحكم على تماسك النّص .

فالجمل إذن وأشكال القول الأخرى " يتماسك بعضها مع بعضها الآخر دلاليا من خلال المعلومات التي يقدمها النّص .... ولكن إذا فقدت الجمل السياق مثل : اشتدت الأعاصير، ثمّ جرى في الطريق حاملا حذاءه، عندما جفت البحار، وانتشر الذباب في الطرقات، ثم صحا من نومه .... تكون غير متماسكة الأجزاء

لكنه يرى أنّ الجملة الأخيرة " ثمّ صحا من نومه " هي السياق، إذ من خلالها نتبين أنّ هذه الجمل عبارة عن حلم أثناء النوم، نعم هو حلم مشتت، لكن في النهاية الذي يحدد هذه الجمل، أنّ سياقها هو الحلم .

المهم أنّ الحل عند فقد الروابط الاتساقية ، هو الرجوع إلى السياق المحيط بالنص ، ومن ثم يبرز الدور الذي يقوم به السياق في التحليل النّصي ، خاصة إذا فقدت الروابط . وهذا يتضح كثيرا من النصوص القرآنية .

المبحث الثّاني : التماسك والسياق والمتلقي .

يرتكز هذا المبحث على أمرين أساسيين هما :

الأوّل : وظيفة السياق في تحقيق التماسك .

الثاني : وظيفة المتلقي في الحكم على تماسك النّص من عدمه .

أمّا الأوّل : وهو السياق، فلم يهتم به علم اللغة النّصي وحده بل كان محور اهتمام علم اللغة بصفة عامة، ومن أهم المدارس التي اهتمت بالسياق مدرسة فيرث حديثا، مع التأكيد أنّ هذا الاهتمام بالسياق، ودوره في توضيح المعنى، لم يكن وليدا للمدارس الحديثة وحدها، بل اهتم به علماء العربية بداية بسبويه والمبرد وابن جني والجاحظ والجرجاني وغيرهم [1].

ولقد أصبح المعنى والسياق متلازمين خاصة إذا الغموض، حينئذ ليس هناك بدّ من اللجوء إلى السياق ، وعلى كل حال أصبح للسياق نظرية وصارت نظرية السياق – إذا طبقت بحكمة – تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة[2].

ولهذا يصرح فيرث بأنّ المعنى لا يتكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة ...فمعظم الوحدات الدلالية، تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها .....[3].

والسياق لم تكن أهميته مقصورة على تحديد معنى الوحدات اللغوية فقط، وإنما في تحديد معنى الكلمة أيضا، وتحديد معنى الكلمة أيضا، وتحديد معنى الكلمات يؤدي إلى بيان دلالة الجمل، ومن ثم يحدث التماسك الدلالي، ولهذا " فإنّنا حينما نقول إنّ لإحـــدى الكلمات أكثر من معنى في وقت واحـد إنّما نكون ضحايا الانخداع إلى حد غير قليل : إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلّا المعنى الذي يعنيه سياق النص [4]".

---

[1] محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1991م، ص237.

[2] استيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د . كمال بشر ، مكتبة الشباب القاهرة 1990 ص 22- 23 .

[3] أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، مصر ، ط 2 1988 ص 28-29 .

[4] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط 1.

ويرى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أنّه من الطبيعي أن يمثل السياق دورا بارزا في تحديد معنى النّص، ومن ثمّ تحديد تماسكه وذلك لأنّ اللغة وليدة الاحتكاك في المجتمع، فهي بطبعها اجتماعية، ومن ثم فالمجتمع يحيط باللغة، وبيان معناها – بالتأكيد – يرجع إلى المجتمع .

ومن هنــا أكّـــد علماء اللغة أنّ " اللغة نشاط اجتماعي للإنسان .... كما أنّ السياق الاجتماعي متمم للمعنى، لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة وقد استعمل فيرث العبارة الانــجليزية للدلالة على دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه ....[1] Context of situation فالمجتمع هو المنتج للنّص وهو المتلقي له ومن ثمّ فهو الذي يحدد معناه من خلال البيئة المحيطة التي يعيش فيها المجتمع . والتي أفـرز فيها النّص .

وقرر هاليدي ورقية حسن أنّ كل نص له سياق، والنّص بصفته يميز بالتماسك ...فإنّ نقطة أو جملة بعد البداية – أي بداية النّص - ترتبط بما سبقها، وبالبيئة المحيطة ، وترتبط بما سوف يأتي بعد.

وتسهم عناصر أساسية في التماسك مثل المرجعية، والإبدال، والحذف، والعطف، والتماسك المعجمي وهي علاقات دلالية تسهم في تحديد النّص ، كما يسهم السياق كذلك ....

إذن تتضافر العلاقات التماسكية الدلالية والشكلية، مع السياق في تحقيق التماسك النّصي للنص، فالنّص يحتوي على علاقات داخلية وأخرى خارجية مرتبطة بالسياق، وهذه وتلك تحققان التماسك النصي.

فالنص إذن تتجاذبه علاقتان ، داخلية وخارجية كي يتماسك، ومن ثمّ فهو واقع كذلك بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة .

ولعل هذه الأهمية للعلاقة بين النص والسياق هي التي دفعت هاليدي ورقية حسن إلى جعل عنوان كتاب لهما " اللغة ، السياق والنّص "، وأكدا فيه أنّ الفكرة الأساسية، تهدف إلى إجلاء العلاقة بين النص .

والسياق، هذه العلاقة مؤكدة، فكل من النّص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر " ولا يتوقف الأمر عند هذه العلاقة بل يتعداها إلى التأكيد أنّ بنية النّص محكمة بسياق الحال ....وهذا السياق يمكن استخدامه لصنع تنبؤات معينة حول بنية النّص .

[1] محمود سليمان ياقوت ، المصدر السابق ، ص 236- 237.

ويمكن توضيح ذلك عند سماعنا –مثلا- لحوار معين بين عدة أفراد، ونحن نعرف هؤلاء الأفراد، وطبيعة كل منهم وثقافته، ونعرف كذلك القضية التي يدور حولها الحوار ....فإذا كان الأمـــر كذلك، فإننا بعد سماعنا لبعض جمل الحوار من بعض الأفراد يمكننا بالفعل التنبؤ بردود الأفراد والآخرين ومن ثم التنبؤ ببنية النّص [1].

CON نفسه اشتق بصورة تؤكد هذه العلاقة فالسابقة CONTEXT والرجوع إلى مصطلح السياق وهي فكرة تتضمن WITH THE TEXT تعني المشاركة، أي توجد أشياء مشاركة في توضيح النص أمورا أخرى تحيط بالنص كالبيئة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنّها الجسر بين النّص والحال.

وقد أدرك مالينوفسكي أهمية العلاقة المتمثلة بين النص والسياق ، وأنّه ينبغي معرفة السياق حتى يمكن تفسيره للنص، ولهذا – حتى يمكنه تفسير النصوص المتعلقة بالصيادين – قام بمعايشتهم في أمورهم كلها، وذلك للإلمام بالخلفية الثقافية لهم . وتوصل في النهاية إلى جعل السياق يدور حـــول محورين :

الأوّل : ســياق الحال Context of situation

الثاني : الســياق الثقافي Context of culture

وكلاهما ضروري في فهم النّص فهما كاملا .

غير أنّ هذا الاهتمام الشديد بالسياق أفضى إلى أراء مبالغ فيها في بعض الأحيان، فيرى هاليدي مثلا أنّ أي قطعة من نص، طويل أو قصير، منطوق أو مكتوب، سوف تحمل معها إشارات عن سياقها، وعلينا فقط أن نسمع أو نقرأ جزء ا منها لنعرف من أين أتت هذه القطعة ....

بمعنى آخر أعطنا النّص ونحن نشكل سياق الحال منه..... !

فهل معنى هذا أنّه يمكننا بمجرد سماع نص أو قراءته أن نعرف السياق المحيط به ؟

يرى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أنّ هـذا لا يكفي ، فهاتان الوسيلتان يمكن من خلالهما معرفة بعض جوانب السياق، وذلك من خلال النبر والتنغيم في النّص المنطوق، وعلامات الترقيم في النص.

[1] محمود سليمان ياقوت ، فقه اللغة وعلم اللغة ،ص 237

المكتوب وهكذا. وهذه الأمور ليست كل ما يتعلق بالسياق، فهناك السياق الاجتماعي والثقافي ، وكلاهما يحتوي على أركان كثيرة، ذكرها فيرث و مالينوفيسكي منها الزمان والمكان والمشاركون ونوع النص وتغير الأحداث وغيرها .

والنّص القرآني بوصفه نصا نزل مفرقا تبعا لتنوع الأحداث، فلم ينزل كلّه في مكان واحد ، ولا زمان واحد ولا لحدث واحد، ولهذا احتاج فهمه إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته حتى يمكن تفسيره..

ومن هنا كان الاهتمام بمناسبات النزول .

ويتضح هذا بصورة جلية حين يحدث الغموض في مرجعية الضمير ، أيرجع إلى سابق أم لاحق أم إلى شي خارج النّص . وهذا الغموض – كما يرى صبحي إبراهيم الفقي – يحتاج إلى السياق المحيط لمعرفة المشار إليه .

فالنّص إذا ليس إلّا "حالة خاصة من البيئة المحيطة، ....والمرجعية القبلية والمرجعية والبعدية، كلتاهما تعتمد على الفكرة التي تسعى لاستقصاء المعاني من البيئة المحيطة ....[1]

وأشار صبحي إبراهيم الفقي إلى أنّ أركان النّص تحتوي على أشياء كثيرة، من هذه الأشياء المتلقي [2] ولا يخفى أنّ للمتلقي دورا مهما في تحليل النّص وتفسيره، ولهذا أكـد علماء اللغة بصفة عامة، وعلماء النّصية بصفة خاصة دور المتلقي في تحليل النّص وتحقيق تماسكه والحكم على هذا التماسك[3] وهذا الدور هو موضوع المحور الثاني من محاور هــذا المبحث .

ثانيا : دور المتلقي في الحكم على تماسك النّص .

أكد الدكتور صبحي إبراهيم الفقي فيما سبق – عند حديثه عن التواصل ودوره في التماسك النّصي – أنّ هذا التواصل ليس بين أجزاء النّص الداخلية فقط، بل يتعداه إلى التواصل بين المنتج والنّص والمتلقي، إضافة إلى البيئة المحيطة .

وهذا يبرز لنا أنّ المتلقي أصبح ركنا أساسيا من أركان التحليل النّصي، فهو القراءة الثانية للنّص .

---

[1] محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة،
[2] أحمد مختار عمر : علم الدلالة .
[3] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة .

ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنّص يعد حوارا قائما بين قائل النّص والنّص والمتلقي .

والمتلقي للنص ليس على إطلاقه ، بل يجب أن تتوفر فيه الكفاءة التي تمكّنه من استيعاب النّص وتفكيكه ، وتتمثل تلك الكفاءة في معرفة لغة النّص ، وأسلوبه ، وسياقه . وسوف نعرض لهذا تفصيلا في الفصل الخاص بالحذف.

وقد أدرك علماء النّص هذه الأهمية للمتلقي، وأنّه ليس مجرد مستهلك سلبي للنّص، بل يعد مشاركا في النّص، " وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البيئة والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة.

فممارسة القراءة إسهام في التأليف .... فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج ..... لذلك إذا سأل سائل عن الذي يحكم عن قيمة النّص ؟ تجد أنّ الإجابة عن هذا السؤال لا يختلف فيها اثنان، فالذي يقيم النّص هو القارئ المستوعب له . وهذا يعني أنّ القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى.

وهو شريك مشروع لأنّ النّص لم يكتب إلّا من أجله . وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبي إلّا من خلال تداخل القارئ مع النّص ....بل إنّ المبدع يخلق عملا ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي مصنوع ومحكم الربط والبناء ومهيأ لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ .....

ولهذا الإدراك لدور القارئ أو المتلقي، وجدنا أنّ النص القرآني خاصة في القصص القرآني، كما أشرنا في الفصل الأوّل يأتي بعناصر جوهرية في القصة أو الموضوع، ثم يحذف عناصر أخرى ثانوية، وعلى القارئ للنص أن يستكمل هذه الجمل المحذوفة من خلال إدراكه لطبيعة الأسلوب القرآني، وسياق النّص أو مناسبة النزول، وسوف نوضح تفصيلا فيما بعد . وهذا ما دفع الباحثين إلى القول بضرورة وجود القارئ ليتحقق وجود النّص ، فالنص ليس له وجود إلا عندما يتحقق، وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ.

ومن ثمّ تكون عملية القراءة في التشكيل الجديد لواقع مشكل من قبل ، وهو العـمل الأدبي نفسه .

فالقارئ الذي يدرك طبيعة المنتج ، وطبيعة النّص، والوسائل المستعملة في النّص، وسياق النّص، هو ذلك القارئ أو المتلقي النموذجي أو المثال، إن صحّ التعبير ، فكم من قارئ لا يفهم ما يقرأ، وكم من قارئ يفهم جزءا مما قرأ، قلّ هذا الجزء أو كثر، وكم من قارئ يفهم ما قاله أو كتبه المنتج كلّه .

ولهذا وجدنا في النّص القرآني العديد من التفسيرات المختلفة لآية واحدة . ووجدنا كلا من المفسرين وقد بيّن وجوها إعجازية قد لا يوضحها الآخرون، ووجدنا القدماء عرفوا أشياء، وعرف المحدثون أشياء أخرى لم تخطر ببال السابقين .... وهكذا التفاعل الدائم مع النّص، ويلاحظ وسائل التماسك ليستطيع نهاية فك شفرة النّص .

وهذا القارئ أو المتلقي الذي هذه خصائصه هو الذي يحكم على تماسك النّص من عدمه ، وسوف يعرض لها بالتفصيل في فصل الحذف لأنه من أكثر المواضيع التي يظهر فيها المتلقي.

إذن يجب أن تتوفر لدى القارئ النموذجي معرفة الوسائل والأدوات التي يتماسك بها النّص، ولكن ما تلك الوسائل أو الأدوات ؟

المبحث الثالث : نماذج تطبيقية عن التماسك النصي وأدواته .

بداية نؤكد أنّ أبواب النحو التي تعتمد على علاقة الإسناد، كلها يمكن أن يندرج تحت مبدأ التماســك النّصي، نعم معظمها يعتمد على الجملة ، لكن المتفق عليه أنّ الجملة نواة النّص .

وبناء على ذلك فهذه الأبواب كلها قابلة للتحليل النّصي، لكن المقام لا يسع لمثل هذه المخاطرة التي تؤدي بالبحث إلى امتدادات كثيرة .

وأقوال علماء النّص حول الأدوات التي تحقق التماسك النّصي متعدد ، وتختلف في الغالب عن بعضها، غير أنّ هناك أدوات مشتركة بينهم، وهذا الاشتراك ليس إلّا إبرازا لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا اشتركوا في ذكرها، وهي – فيما يرى صبحي إبراهيم الفقي – تمثل الأدوات الرئيسيـــــة للتماسك النصي .

ومعظم هذه الأقوال اعتمدت على الناحية النظرية، ولم تستطرد إلى التوضيح التطبيقي إلا في مثال أو مثالين، وفي نصوص متفرقة، وهذا ما يدفعنا إلى تمثيل دور هذه الأدوات في تحقيق تماسك النص القرآني.

لا نقول إنّ النّص القرآني غير متماسك، تنزه قول الله عن ذلك، ولكن نريد أن نبرهن عن كيفية إسهام تلك الأدوات في تحقيق ذلك التماسك المعجز،إذا عددناه نوعا من الإعجاز القرآني.

وبما أنّنا ما زلنا في الفصول النظرية للكتاب، فسوف نعرض لآراء علماء النّص لأراء علماء النّص، أو لبعضها فيما يتعلق بحصر تلك الأدوات،ثمّ نقتصر على الأدوات الأساسية منها، تحقيقا للغاية ودفعا للحشو والإطالة .

وعلم اللغة يسعى لوضع نظريات تصلح لمعالجة أي لغة، وعلم اللغة النّصي استقل بوصفه نظرية على يد علماء الغرب، مع التأكيد أنّ جذوره واضحة في ذخائر العربية كما سنوضح، ومع كون هذه النظرية استقلت بصورة غربية، وذكرت أدوات تتفق مع اللغات الغربية، فإنّ هناك أدوات كثيرة تتفق مع الأدوات المستعملة في اللغة العربية، بل تكاد كلها أن تكون مندرجة، أو قابلة للتطبيق على اللغة العربية، بل تكاد كلها أن تكون مندرجة، أو قابلة للتطبيق على اللغة العربية، ومع هذا إذا وجد منها مالا يتلاءم مع طبيعة اللغة العربية، فسوف نستبعده عند التطبيق، حتى لا نتهم بأنّنا تلوى النصوص العربية حتى نطبق عليها النظريات الغربية .

ومن أبرز ما تحدث عن أدوات التماسك هاليدي ورقية حسن، فقد قام كتابهما " التماسك في الإنجليزية "،Reference على خمس أدوات هي كما ذكر صبحي إبراهيم الفقي في مقدمة الكتاب، المرجعية ثمّ التماسك المعجمي CONJUNCTION العطف، ELLIPSIS الحـذف Substituotion الإبـدال LEXICal COhesio .

ثمّ قسّما المرجعية إلى :

1) شخصيPERSONAL : (أنا ، أنت ، نحن ، هو ، هم ، .....إلخ)

2) إشارية Demonstrative : (هذا ، هؤلاء ، أولئك ، ..... إلخ)

3) مقارنة comparative : (أفضل ، أكثر ..... إلخ)

وقد ذكر - فيما سبق – أنّ المرجعية قد تكون خارجية ، وقد تكون داخلية، والداخلية قد تكون لما سبق، أو لما تأخــر . وسوف تفصل أكثر في فصل الضمائر .

وعلى الرغم من التشابه الكبير في وظيفة هذه الوسائل بين العربية والإنجليزية – على سبيل المثال – فإنّ هناك اختلافا في مثل الإبدال، فالبدل في الغربية نوع من أنواع التوابع المعروفة، وهو يقوم بوظيفة التماسك النّصي أيضا، لكنه يختلف عن الإبدال في الإنجليزية، لأنّه عندهم في مقابل التركيب " كذلك " عندنا، ومثل هذا التركيب عندنا ليس بدلا . ومن ثمّ فلا صلة بين الإبدال والبدل من الناحــيـة النحوية وظيفة الإبدال، وكذلك البدل في يؤدي عندهم So أو التركيبية، لكن من الناحية النّصية فإنّ التركيب العربية – بوصفه تابعا - من وظائفه التماسك كما سنرى .

ومثال البدل في النحو العربي قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3)"[1]

فنصفه بدل بعض من كل من "الليل " وهو يمثل مرجعية سابقة، إضافة إلى الضمائر التي تقوم بوظيفة المرجعية كذلك، وأيضا الدلالة الواضحة، ومن ثمّ يسهم البدل في تحقيق التماسك بين هاتين الآيتين :

ومثله : قام أبو عبد الله عمر فأبو عبد الله هو عمر، وعمر هو أبو عبد الله وعليه فالتماسك واضح بينهما ومن هنا سوف يكون التطبيق من خلال الإصطلاح العربي للبدل كما سيعرض في فصل التوابع التي تحقق التماسك النّصي، فأي وحدة لغوية Implicit devices وقد عدّ السياق من الأدوات الضمنية Two Environment من النص الواقع تحت إطار التحليل تشمل بيئتين :

1) – البيئة الخارجية عن النّص – السياق- وهي تتصل بالنّص .

2the co text) – البيئة اللغوية المصاحبة للنّص.

[1] سورة المزمل، الآية

فالتفسير للأداة الضمنية يراد به ما هو خارج النّص ويمكن فقط هذا التفسير من خلال السياق، فتخيل الحال عندما يدق طفل بشدة على لعبته، ويصنع ضوضاء عالية بينما الأم تحاول التركيز في كتابــة أوراق مؤتمر ، فالاحتمال الكبير أنّها ستقول للطفل :

Stop doing that here , Im trying to work

يمكن أن تفســر فقـــط doing that here الرسالة في هذا النص ضمنية بصورة كبيرة والكلمات بالرجوع إلى سياق الحال . فالأدوات الضمنية هي أدوات مبهمة بين النّص وسياقه، مما أثار قلق الموجودين خارج النّص .....

وقد يكون النّص خاليا تماما من الأدوات الشكلية المعروفة لتحقيق التماسك النّصي، ويصـــل المتلــقي إلى درجة اليأس من فهم هذا النّص إلى أن يتحقق من وجود السياق المحيط بالنص، حينئذ لا يملك سوى صنع علاقات ضمنية غير محسوسة بين أجزاء النّص، ومن ثمّ يتماسك النّص أمامه بصورة ما كما لو كانت أدواته التماسكية الشكلية موجودة .

ومن الأدوات التماسكية الدلالية الترادف Synonymy والمطابقة Antonymy والانضـــواء Hyponymy ومن هذا العرض الموجز يتضح أنّ أدوات التماسك النّصي كثيرة، ومتنوعة بين الخارجية والداخلية وبين الدلالية والشكلية والمشتركة بينهم . واتضح كذلك أنّها شرط ضروري في أيّ نص حتى يتحقق وجوده كنص، وإلّا أصبح جملا متراصة لا روح فيها .

ويرى صبحي إبراهيم الفقي أنّها ينبغي أن تكون من بين ما يمتلكه المنتج والمتلقي على حد سواء فإذا نقصت عند المنتج عجز عن إبراز إنتاجه في صورة متماسكة، وكذا إذا جهلها المتلقي، فإنّه سوف

ويمكننا تلخيص أدوات التماسك النّصي في الشكل التالي :

أدوات التمـــــــــــاســـــــــك

خـــــارجـــية	داخلية		
السيـــاق الإحـــالة	شكلية	دلالية	مشتركة
الخارجية دلالية (والسياق يعبر عن الأدوات التماسكية الضمنية)	- العطف - التكرار - المعجم - الرتبة	المرجعية الإبدال الحذف المقارنة التكرار بالمعنى الترادف الانضواء السببية الزمنية التخصيص التعميم التوكيد الإضراب العطف	العطف

هذا وقد ركّز الكتاب على أكثر هذه الأدوات ورودا، وأكثرها تأثيرا في تحقيق التماسك النّصي، وأكثرها إسهاما في التحليل النّصي وهي :

- المرجعية (الضمائر ، الإشارة ، الموصول) ، العطف، التأكيد، البدل، النعت، الحذف، التكرار، ثمّ مناسبة التماسك بين الآيات وبعضها، والسور وبعضها مع مراعاة دور السياق كلما لزم الأمر في كل من هذه الفصول .

نماذج تطبيقية عن استخراج أدوات التماسك النّصي :

بعد هذا العرض لجهود بعض القدماء والمحدثين وإسهاماتهم في تقديم تحليل نصي للنصـوص، أن الوقت لأن نتعرض بالتحليل النّصي المعاصر لبعض من السور المكية التي يمكن أن نعدها نماذج نحذو حذوها عند محاولة التحليل للسور الأخــرى .

وتحليلنا سوف يعتمد في هذا الفصل على الضمائر بأنواعها ومنها الضمائر الشخصية والإشارية والموصولة . وذلك مع الاستعانة بالجداول الإحصائية كلما تطلب الأمر ذلك . إذ من الواجب أن تحمل تلك الإحصائيات دلالات تسهم في التحليل النّصي .

في البداية ينبغي الانطلاق من الأساس الذي تدور حوله السور المكيــة، أي معرفة القضية التي تعالجها السور المكية، وذلك لندرك العلاقة بين وسائل التماسك النّصي والموضوع الأساسي، وهذا الأساس يعد جملة النواة بالنسبة لهذه السور .

وعلى الرغم من نزول القرآن المكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاثة عشر عاما كاملة، فإنّــه تحدث عن قضية واحدة، قضية واحدة لا تتغير ... لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد، " قضية العقيدة " في قاعدتها الرئيسية، ....الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة "[1]

وإذا كان نزوله في ثلاثة عشر عاما، وتعدى أكثر من ثمانين سورة، وفي مناسبات متعددة . إذن من الطبيعي أن يحتاج إلى وسائل عديدة لتحقيق التماسك بين هذا الكم الكبير من النصوص الكريمة، فمنها ما يتسم بالطول، ومنها ما يتسم أيضا بالقصر الشديد، ومع ذلك فهناك رابط قائم على مستوى السورة الواحدة، وعلى مستوى السور كلها، إذ يجمع بينها في النهاية قضية واحدة وهذا بالطبع يؤدي إلى الوحدة الموضوعية لهذه السور ومن ثمّ إلى التماسك النّصي وما دامت السور كلها تعالج قضية واحدة، وتدور حول محور واحد، وإن تعددت الوسائل فإنّه من الطبيعي ألا نتناولها كلها، إذ في هذا تكرار يتنافى مع طبيعة البحث اللغوي، لذا فسوف نحلل نماذج منها كل فصل.

[1] سيد قطب، في ضلال القرآن.

- ســـورة الفاتحة -

لنبدأ بسورة "الفاتحة " وذلك بصرف النظر عن الخلاف حول كونها مكية أو مدنية . وإن كنّا نرجع كونها مكية، لأنّه لا صلاة لمن لم يقرأ الفاتحة والصلاة معروف أنّها فرضت في رحلة الإسراء والمعراج، وكان ذلك ورسول الله ما زال في مكة لم يهاجر إلى المدينة .[1]

التحليل النصي لهذه السورة يسير في اتجاهين :

الأوّل : علاقات الآيات ببعضها البعض في السورة نفسها .

الثاني : علاقات السورة مع السور الأخرى[2] .

وسوف نعالج في هذا الفصل الاتجاه الأوّل، على حين نعالج في الفصل الخاص بالمناسبة والتماسك بين السور.

بإيجاز في الألفاظ وإعجاز وإسهاب في المعاني، تعالج سورة " الفاتحة " موضوع العقيدة الأوّل وهــو الربوبية، ومن ثمّ فهو سبحانه " رب العالمين " و " مالك يوم الدين " وكذلك" الرحمن الرحيم"، ولذا فهو المستحق للعبادة له والاستعانة به والدعاء .

إذن العبودية لله والألوهية له كذلك، ومالك يوم الدين له سبحانه، والاستعانة به، والعبادة له والهداية والظلال بيده سبحانه، ومن ثمّ فهو المستحق للحمد .

فالله تعالى هو المسند إليه هذه الأمور كلّها، لذا وجدنا التوابع التي تحيل إليه سبحانه كثيرة، تبدأ من " الرحمن الرحيم " في البسملة على أنّها آية من الفاتحة ثمّ " رب العالمين " و " مالك يوم الدين " . مع تكرار لصفتي الرحمن الرحيم مرة أخرى في آية مستقلة .

ثمّ جاء دور الضمائر الظاهرة والمستترة على النحو التالي :(الرحمن – الرحيم – مالك – إياك – اهدنا – أنعمت) وكلها تعود إلى لفظ الجــلالة المذكــور في أوّل الســورة، فهي إذن مرجعيــة سابقة Anaphoric reference

الرحمن (هو).

الرحيم (هو).

مــالك (هو).

[1] أنظر في الخلاف حول كون الفاتحة مكية أو مدنية : أسباب النزول للواحدي، ص 12 - 13 .

[2] هذا الاتجاه سوف نفصله في فصل المناسبة حيث توجد علاقة بين الفاتحة وبقية سور القرآن الكريم.

الله تعالى .

إياك (الكاف).

اهدنا (أنت).

أنعمت (التاء).

فهذه السورة المباركة تناقش متطلبات الألوهية والعبودية، ومن ثمّ فدلالتها متماسكة ويخدم هذا التماسك الدلالي، التماسك الشكلي في وجود هذه الضمائر.

أمّا بالنسبة لوسيلة العطف ، فإنّها لا توجد إلّا في آيتين الآية الخامسة :

والآية السابعة وذلك لتحقيق لتحقيق التماسك على مستوى الآية "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الواحدة، وللجمع بين المتعاطفين .

وإذا كانت علاقة الإسناد في النحو العربي قد جعلت من الجملة الوحدة الكبرى التي تحتوي المسند والمسند إليه، فإنّنا هنا نوسع دائرة الإسناد لتشمل السورة بصفتها الوحدة الكبرى، فالمسند إليه في هذه السورة هو الله تعالى، والمسند هنا متعدد كما ذكرنا الألوهية والربوبية وملك يوم الدين، يوم البعث والجزاء، والعبودية والاستعانة وحق الهداية والضلال ....إلخ وعلاقة الإسناد هذه من بين الأنماط التي تحكم قضية التماسك الجملي والنصي كذلك مـــن منظور التماسك بين المسند والمسند إليه . إذنتحقق التماسك النصي للسورة من خلال عدة وسائل

- المرجعية ، كما في الضمائر ومرجعيتها النعت[1].

كما في الآيات من 1 إلى 4 الإبدال.

- العطف ، كما في الآيتين 5-7.

- التكرار، وذلك بالصفات، وبالضمائر كذلك .

- علاقة الإسناد، كما هو واضح على مستوى السورة كلّها .

[1] فأساس النّص ، أو جملة النواة في السورة ، ليست جملة ، بل لفظة واحدة ، لفظ الجلالة الله ، وتقوم شبكة من وسائل التماسك النّصي ، بالربط بين هذه النواة ، وبين الآيات الأخرى ، وهذا واضح من الشكل السابق ، فيما يتعلق بوظيفة الضمائر.

وهذه الوسائل تجمع تجمع بين الشكلية والدلالية . تدور على مستويات متعددة :

مستوى الآية مرجعية الضمائر فيها كانت واضحة ليس فيها غموض، ومن ثمّ لم تكن هناك حاجة إلى السياق لمعرفة إلى أي شيء ترجع هذه الضمائر، وعلى مستوى أكثر من آيــة كما وجد مع الضمائر .

وإذا كان هذا التحليل النّصي لسورة قصيرة من ناحية عدد الآيات . فكيف يمكن إذن تحليل سورة تتكون من عشرات الآيات الطوال ؟ كيف يمكننا تحليل سورة الأنعام تحليلا نصــيا معاصرا ؟.

نقول بداية إنّ النظرة الكلية التي التي تشمل أبعاد السورة كلها أمر يحتاج كثيرا من التأني في القراءة والتأمل والفهم . وذلك من أهم عناصر التحليل النّصي، معرفة الفكرة الرئيسية أو الموضوع الرئيسي للنّص . وهذا أمر ينقص الكثير من التفاسير، إذ يكتفي أغلب المفسرين بالتفسير الحرفي أو المعنوي، لكن على مستوى الآية الواحدة في الغالب[1] .

هذه السورة – الأنعام – نموذج كامل للقرآن المكي ... وهي تمثل طبيعة هذا القرآن وخصائصه ومنهجه ، في موضوعها الأساسي بصورة فريدة ....

وهذا يدفعنا إلى الوقوف عند هذه السورة بالتحليل، إذ فيها خصائص القرآن المكي ومنهجه، ومن ثمّ يكون من غير المنطقي تناول السور كلها بالتحليل .

الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة – مثل غيرها من السور المكية – هو موضوع العقيدة الأساسي ، موضوع " الألوهية والعبودية ". وتعالج هذا الموضوع من خلال تعريف العباد برب العباد : من هو ؟

ما مصدر هذا الوجود ؟ من أنشأهم ؟ من يطعمهم ؟ من يكفلهم ؟ من يدبر أمرهم ؟ من يقلب أبصارهم وأفئدتهم ؟ من يقلب ليلهم ونهارهم ؟ من يبدئهم ثمّ يعيدهم ؟ ....هذه الحياة المنبثقة هنا وهناك من بثّها من هذا الموات ؟ هذا الماء الهاطل. هذا البرعم النابع . هذا الحب المتراكب . هذا النجم الثاقب، هذا الصبح البازغ . هذا الليل السادل، هذا الفلك الدوار ...هذا كله من وراءه ؟....

1 من التفاسير المعاصرة التي نظر المفسر فيها إلى السور نظرة كلية قبل أن يشرع في التفسير ، " تفسير في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب والنظرة الكلية نعني بها النظر إلى النّص من ناحية فكرته الأساسية .

1

هذه القرون، وهذه الأمم التي تذهب وتجيء، وتهلك وتستخلف ...من ذا يستخلفها ومن ذا يهلكها ؟؟

فهذه الأسئلة كلها عبارة عن أمور مسندة إلى الله تعالى لا شريك له فيها، وكلها مرتبطة به . ومن ثمّ كان من الطبيعي أن يكون اتجاه السور كلّه يمضي إلى هذا الهدف المحدد ... ولذا فالموضوع الرئيسي الذي تعالجه متصل ... على الرغم من تعدد مقاطعها .

ومن جهة أخرى حين ننظر إلى مناسبة السورة – حيث تمثل السياق الخارجي الذي يسهم في بيــان المرجعية الخارجية – نجد أنّها ترتبط بالموضوع الرئيسي للسورة، فمن المعلوم أنّ حق التحليل والتحريم في أمور الذبائح والمطاعم، وحق تقرير بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد كل هذه الأمور ليس لأحد حق في تشريعها إلا الله تعالى . لكن الجاهلية كانت تبيح هذا التشريع لأنفسها لا إلى الله تعالى . وكذلك النظرة الثاقبة تقول إنّه بما أنّ الذي خلق الخلق هو الله، فهو إذن الذي يعلم ما يصلح لهم وما لا يصلح، ومن ثمّ فهو الذي يحلل ويحرم وهذا أمر عقائدي، ولهذا ارتبطت مناسبة السورة بهدفها.

والملاحظة للسورة تقضي إلى القول بأنّ السورة من بدايتها إلى نهايتها تعالج موضوع العقيدة من خلال التعريف بالله تعالى، وذلك عن طريق وسائل عدة منها كتاب الله المفتوح " الكون "، والعلم بما تخفيه النفس البشرية، والعلم بالغيب المتمثل في الأمم السابقة ومستقبل الأمم الحالية في الدنيا والأخرة، والإخبار بمشاهد القيامة، ومصير الخير والش، وعن طريق إرسال الرسل ... وغيرها من القضايا التي لا يمتلك التصرف فيها إلا الله العلي القدير .

إذا كان هذا باختصار موضوع السورة فما علاقته بالتماسك النّصي ؟ ودور الضمائر في تحليلها ؟ .

من الطبيعي بعد عرض هذه الأمور المتعلقة بمناسبة السورة وموضوعها، أن نجد للضمائر دورا في تحقيق التماسك بين الأجزاء التي تناقش هذه القضايا كلها لتربطها بخالقها ومسيرها .

السورة عبارة عن نص منزله الله تعالى، ومتلقيه الأوّل النبي صلى الله عليه وسلم لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين ليصحح في النهاية قضية العقيدة، وإرجاع الأمر كلّه لله ومن ثمّ تتنوع أغلب الضمائر على هذه المستويات الأربعة :

الأوّل : الله تعالى .

الثاني : الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالث : المشركين .

الرابع : المؤمنين .

بالرجوع إلى الإحصائيات الموجودة بالجداول نلاحظ أنّ الضمائر التي تحيل غلى الله تبارك وتعالى بما فيها الإشارة والموصول يمكن تمثيلها في الجدول التالي :

الضمائر الشخصية	265 ضميرا
الإشارات	إشارتان في 95 ، 201
الموصولات	أحد عشر

وهذه الضمائر كلها، والذي يصل مجموعها إلى 278 ضميرا تعود كلها إلى الله تبارك وتعالى مع العلم بأنّ عدد آيات السورة (165) آية . فهل لهذه الإحصائية دلالة في التحليل النّصي ؟

قلنا إن كل المسانيد في السورة يمكن توزيعها كما سبق أمّا ما يخص قضية الألوهية والعبودية وما يتعلق بهما فإنّ الضمائر فيها تعود إلى الأساس الأوّل في النّص، وهو الله تعالى، ومن خلال ذلك تتطور فكرة النّص من بدايته حتى نهايته، والجملة الأولى في هذه السورة تحمل نواة النّص أو مفتاح النّص الذي تتصل به الأطراف كلها وتتماسك معه .

ونحاول فيمايلي بيان حركة الضمائر التي تعود إلى الله تعالى، فنلاحظ أنّ الفكرة الأولى في هذه السورة تتمثل في مواجهة الكافرين والمكذبين وبيان مصائر المذنبين في الأمم السابقة، فنجد أنّ الآية الأولى تبدأ بـ :

(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فعلى الرغم من بيان تلك النعم من الله نجد أنّ الذين كفروا لم يزدهم هذا إلّا انصرافا عنه سبحانه .

وملاحظة توزيع الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى نجدها موزعة في السورة كلها . ولنلاحظ الكلمات التي تحمل ضمائر تعود إلى الله في الآيات الأولى :

الذي – خلق – وجعل 1، هو – الذي – خلقكم – قضى – عند 2، وهو- يعلم – يعلم 3، أهلكنا – مكناهم – نمكن – أرسلنا – جعلنا – فأهلكناهم – أنشأنا (6) ، نزلنا (7) أنزلنا (8)، جعلناه - لجعلناه - وللبسنا (9)، ليجمعنكم (12)، وله – وهو(13) ، فاطر – وهو – يطعم – ولا يطعم (14) ، رحمه(16) ، كاشف – هو يمسك – فهو (17) ، وهو – عباده – وهو (18)- ، شهيد – هو (19) - أتيناهم (20) ، فنجد أنّ الضمائر هي : الذي – هو – هو – الهاء – هو –هو – هو – نا – نا – نحن- نا – نا – نا – نا – نا – نا – نا – نا – نا – هو – هو – الهاء - هو – هو- هو – هو- هو – هو- هو – هو - هو – هو – هو – الهاء – هو – هو – نا .

فكلها تعود إلى الله تعالى السابق ذكــره في النّص ، في الآيــة الأولى ومن ثمّ فــهي مــرجعية سابقــة وتعود كلها إلى نواة النّص . Anaphoric reference

وكونها تعود إلى مرجوع واحد، إذن فهي مرتبطة به شكلا ودلالة، وكذا ترتبط الآيات بالآية الأولى بنوعيه الشكلي في اتفاق الضمائر، والدلالي في الإسناد والتماسك cohesion محققة التماسك النصي.

المعنوي بين الآيات .

فهذه الآيات تعرض للمحاجة الشديدة وعناد الكافرين على الرغم من آيات الله الكثيرة، والآيات من الله، والعناد من المشركين، ومن ثمّ كانت الآيات التي تحمل ضمائر تعود للمشركين أكثر الضمائر ورودا في السورة، وهذا تهويل من شأن هذا التكذيب والعناد، وحق التحليل والتحريم.

ولنتأمل مرة أخرى (هو) على مستوى السورة ، ومرجعيته إلى الله تعالى، وما دلالة الآيات التي تحمل هذا الضمير التماسكية ؟

من هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ 3.

(وهو السميع العليم) 13.

(وهو يطعم ولا يطعم) 14.

(فلا كاشف له إلّا هـو) 17 (فهو على كل شيء قدير) 17.

(وهو القاهر فوق عباده) 18.

(وهو الحكيم الخبير) 18.

(قل إنّما هو إله واحد) 19.

(يقصّ الحـقّ وهو خير الفاصلين) 57.

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هـو) 59.

(وهو الذي يتوفاكم بالليل) 60.

(وهو القاهر فوق عباده) 61.

(ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) 62.

(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) 65.

(وهو الذي إليه تحشرون) 72.

(وهو الحكيم الخبير) 73.

(وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) 98.

(وهو الذي أنزل من السماء ماء) 99.

(وهو بكل شيء عليم) 101.

(لا إله إلّا هو) 102.

(وهو على كل شيء وكيل) 102.

وإذا كان هذا الشأن توزيع الضمير المنفصل ، فإنّ موقف المتصل كالتالي :

(خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) 1.

(خلقكم من طين ثمّ قضى أجلا) 2 .

(يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون) 3.

(و إن يمسسك بخير) 17 .

(قال أليس هـذا بالحق) 30.

(قال فذوقوا العذاب) 30.

(ينزّل آية) 37.

(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)39 .

(يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين) 57.

(ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها) 59.

(وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمّى ثمّ إليه مرجعكم ثمّ ينبئكم بما كنتم تعملون) 65 .

(ويرسل عليكم حفظة) 61 .

أمّا الضمير المفرد المتصل فأمثلته :

(وأجل مسمّى عنده) 2 .

(كتب على نفسه الرحمة) 12 .

(وله ما سكن في الليل والنهار) 13 .

(وهو القاهر فوق عباده) 17 .

(أو كذّب بآياته) 21 .

(ثمّ إليه يرجعون) 36 .

(بل إيّاه تدعون) 41 .

(يدعون ربهم بالغداة و العشيّ يريدون وجهه) 52 .

(كتب ربكم على نفسه الرحمة) 54 .

(وعنده مفاتح الغيب) 59 .

(إليه مرجعكم) 6 .

إذن تمثل تلك المرجعية كالتالي :

مرجعية داخلية سابقة

ضمائر منفصلة ظاهرة

لفظ الجلالة ضمائر متصلة ظاهرة

ضــمائر مستترة

وتلك الضمائر منها الغائب والمتكلم، ومنها المفرد والجمع ، وكلها تعود إليه سبحانه وتعالى، وتوزيعها على آيات السورة، أغلبها، حتى الآية الأخيرة يحقق التماسك النّصي بين هذه الآيات ، فلفظ الجلالة يمثل العنصر الأوّل في بناء النّص.

والتماسك الدلالي في الضمائر المنفصلة أو الضمير المنفصل (هو) يبرز في كون الآليات التي بها هذا الضمير تتحدث عن الأمور التي تشرح هيمنة الله على الكون بأسره، وعلى الدنيا والآخرة، وتثبت أنّ كل شيء بيده تبارك وتعالى، وأنّه قد أحاط بكل شيء علما، وأنّه خلق كل شيء، وعنده مفاتح الغيب ... إلخ هذه الأمور التي أكدتها الآيات . ولكنها تؤدي في النهاية إلى تأكيد القضية الأساسية التي تدور حولها السورة كلها ، وهي قضية العقيدة : الألوهية والعبودية.

وليس هذا في الضمائر المنفصلة فحسب، بل في الضمائر التي ذكرنا أمثلة لها ظاهرة ومستترة، كلها تؤكد في تماسك عجيب هذه القضية التي تمثل نواة السورة، أو الفكرة الأساسية في السورة، وهذا هو التماسك الذي تحدثه الضمائر بالإحالة إلى مسند إليه واحد وهو الله تعالى، فالإسناد هو العلاقة التماسكية الكبرى التي تسهم في تحليل هذا النّص .

وسياق السورة خاصة، والسور المكية عامة، يؤكد أو يقوي هذه المرجعية، فتقرير الألوهية والعبودية وأمور العقيدة وما يتصل بها من أمور سردتها السورة، هذا كله يجعل من الطبيعي تضافر هذه الضمائر كلها في الرجوع إلى الله تعالى فلا يمكن بحال من الأحوال تصور هذه الآيات كلّها بجانب بعضها دون رابط دلالي وشكلي يجمعها ويضمها في عقد واحد.

ونؤكد أنّ كل الضمائر التي ترجع إلى الله تعالى في هذه السورة مرجعيتها داخلية ، لأنّه ذكر صراحة في النّص في بدايته .

أمّا المرجعية الخارجية فسوف نلاحظها في أمور أخرى ستتضح بعد قليل .

ومن المعلوم أنّ قائل هذا النّص الكريم هو الله، وأنّ المخاطب المتلقي هو النبي صلى الله عليه وسلم لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين ومن الطبيعي، وهذا الخطاب من الله على نبيّه أن تكون هناك ضمائر ترجع إليه عليه الصلاة والسلام .

وبالرجوع إلى الجداول أمكن معرفة عدد هذه الضمائر كالتالي :

الضمائر الشخصية	128 ضميرا
الإشارة	لا يوجد
الموصول	لا يوجد

إذن تتوفر في هذه السورة وحدة المتكلم، وحدة المخاطب في الغالب، وحدة المكان، وحدة الزمان، بل وحدة القضية التي تعالجها السورة، وهذا كلّه ييسر السبيل امام تحقيق تماسكه . هذا خلافا لدور وسائل التماسك الأخرى كالتي تعرض هنا .

وبينما كانت مرجعية الضمائر التي تحيل على الله تعالى كلها داخلية، فإنّ الضمائر التي تحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها خارجية ذلك لأنّه لم يذكر صراحة في النص لكن هناك كثيرا من الدلائل التي Exophric refتوضح أنّها تعود إليه وهي تمثل السياق الموضح للمرجعية، فالمرجعية الخارجية... تكون للذي بم يجر له ذكر في النّص .

ونماذج الآيات التي توجد بها مرجعية خارجية للنبي صلى الله عليه وسلم :

(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) 7.

(قالوا لولا أنزل عليه ملك) 8.

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) 1.

(قل سيرو في الأرض) 11.

(قل لمن ما في السموات والأرض) 12 (قل لله) 12 .

(قل أغير الله أتخذ وليا) 13 .

(قل أمرت أن أكون أوّل من أسلم) 13 .

(ولا تكونن من المشركين) 13 .

(قل إنّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم أليم) 5 .

(قل أي شيء أكبر شهادة قل الله) 19.

(وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به) 19 .

(قل لا أشهذ قل إنما هو إله واحد وإنّني بريء من تشركون) 19 .

(ومنهم من يستمع إليك) 25 .

(حتى إذا جاءوك يجادلونك) 25 .

(وهم ينهون عنه وينأون عنه) 23 .

(ولو ترى إذ وقفوا على النار) 27 .

(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) 30 .

فالخطاب الموجه إليه صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن كونه تكليفا بالتبليغ أو النذير أو البشير، أو ردا على حجج المشركين، أو تسلية له بإخباره أنّ ما يحدث له قد حدث للرسل من قبل، وهذه كلها أمور مرتبطة بقضية السورة الأساسية، قضية العقيدة التي يكذب بها المشركون ويؤمن بها المؤمنون.

إذن حتى مع تغير اتجاه الضمائر إلى الرسول عليه السلام، فإنّها تصب في الاتجاه نفسه الذي تصب فيه الضمائر التي ترجع إلى الله تعالى .

وهذا سوف يلاحظ كذلك في الضمائر التي تعود إلى المشركين والمؤمنين، إذ كلها تدور حول المشروع الأوّل ثمّ الرسول الذي يتلقى التشريع ليبلغ به الناس كافة، فالله يريد لعباده الهداية إلى العبودية له تعالى، ورسول الله يبلغ هذه الإرادة عن الله، والمؤمنون يصدقون بما جاء به والمشركون يكذبونه، فالكل يدور جول هذه القضية ويمكن تمثيلها كالتالي :

الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة (287 ضميرا)

الضمائر التي تحيل إلى المؤمنين (50 ضميرا)

قضية العقيدة

الضمائر التي تحيل إلى الكافرين ( )

الضمائر التي تحيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (127 ضميرا)

فالكل يتجه نحو هذه القضية إمّا بالتكليف أو التبليغ أو التصديق أو التكذيب .

أمّا الضمائر التي ترجع إلى المشركين في هذه السورة فإنّها تتصل بالأفعال التي توضح أنّهم الذين أباحوا لأنفسهم حق التحليل والتحريم، والذين كذبوا الرسل من قبل، وأشركوا بالله، واستهزءوا برسول الله والرسل من قبله، والذين لم يؤمنوا بآيات الله، والذين كانوا يمثلون الأغلبية، وكذا مع أغلب الرسل ...إلخ من أعمالهم السيئة التي عملوها مع رسول الله ومن قبله، والتي أشارت إليها السورة في كثير من الآيات كما هو واضح من الإحصاء .

وربما يجيب هذا عن التساؤل القائل : لم كانت الضمائر التي تحيل إلى المشركين أكثر عددا من غيرها ؟

وهذا أمر طبيعي ، فالله واحد لا شريك له، والرسل كلهم دعوة واحدة، والمؤمنون كلهم طائفة واحدة، لكن المشركين ملل وطوائف كثيرة، وعددهم أكثر، وما فعلوه من تكذيب وسخرية واستهزاء وإعراض وكفر هذا كله يحتاج إلى رد كثير على افتراءاتهم المتعددة، ومن ثمّ كانت الضمائر أكثر وهي كالتالي :

الضمائر الشخصية	38 ضميرا
الإشارة	ضميران
الموصول	27 ضميرا
المجموع	413 ضميرا

فالمواجهة بل المواجهات كثيرة وصعبة ، وسبل الإقناع ينبغي أن تكون لذلك كثيرة من تعريف بحقيقة الألوهية التي تشمل الهيمنة على الوجود كلّه، ومن تعريف بموقف المكذبين على مرّ العصور ومصارعهم وتعريفهم بموقفهم يوم القيامة ، يوم الحشر، وأنّهم الخاسرون .

هذا إضافة إلى السبب الرئيس لنزول السورة الذي سبق ذكره، فالمواجهة بالطبع معهم لا غيرهم .

ولنعرض بعضا من الآيات التي تحمل ضمائر تعود إلى المشركين :

(ثمّ الذين كفروا بربهم يعذلون) 1 .

(ثمّ أنتم تمترون) 2.

(إلّا كانوا عنها معرضين) 3 .

(لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين)8 .

(وإنّني بريء مما تشركون) 19.

(الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) 2.

فالمواجهات لم تكن مع المشركين بالرسالة المحمدية فحسب بل مع مشركي العصور السالفة كذلك كذلك وضمنيا مع مشركي العصور القادمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وهذه المرجعيات كلها بصفة عامة سابقة، إذ ذكر الذين كفروا في الآية مفتاح السورة لكن بالنسبة للآيات التي بها موصولات نجد أن المرجعية سابقة ولاحقة، فمثلا قوله تعالى : (ثمّ الذين كفروا بربهم يعدلون) 1.

مرجعية		**مرجعية**
الذين	كفروا	بربهم
بـــعـــدية		قبلية

ومن الملا حظ أنّ الضمائر تكاد تتوزع على الآيات كلها بصورة واضحة، بل وجدت بعض الآيات مثل الآية(25) وصل عدد الضمائر التي تحيل إلى المشركين فيها غلى اثني عشر ضميرا، والآية (28) سبعة ضمائر . وهذه الضمائر تحقق التماسك الداخلي للآية التي هي نواة النّص، وذلك بعودتها إلى محال إليه واحد.

والآية نفسها تحمل مرجعية بعدية كذلك مثل الضمير في (به) في الآية العاشرة ، فإنّه يتعلق بـ (يستهزئون) . التالية . وفي الآية نفسها توجد مرجعية قبلية أو سابقة ، فالضمير في(منهم) يعود سابقا إلى (رسل) ، وتبادل هذه المرجعيات في آية واحدة يماثل ما يحدث على مستوى السورة .

وكذلك المرجعية الخارجية يمكن أن تتضح في قوله تعالى : (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا) 31 فالضمير في (فيها) يعود على الساعة، والتقدير في عمل الساعة ، وقيل يعود على الأعمال، ولم يجر لها ذكر صريح ولكن في الكلام دليل عليها " (1).

فالأعمال غير موجود ذكرها صراحة داخل النّص غير أنّ سياق الكلام بيّنها لهذا فمرجعيتها خارجية .

أمّا العنصر الرابع من العناصر التي يدور حولها النّص فهو عنصر المؤمنين، وذكر أنّ مواضعه لم تتجاوز الخمسين موضعا على الأكثر، وذكر السبب، فيما نعتقد سابقا أنّ المؤمنين طائفة واحدة مؤمنة، ولم تعترض حكم الله ولم تجادل فيه، ولم تصنع لنفسها تشريعا خاصا بهم وكذلك فالنّص أصلا في هذه السورة كان يهدف إلى توبيخ المشركين على ما فعلوه .

وأوّل ذكر ضمني لا صريح للمؤمنين كان في الآية السادسة عشرة : (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين) .

وذكرهم لم يقتصر على المؤمنين برسول الله وحدهم، بل تعداه إلى المؤمنين بالأنبياء الآخرين ، وكذلك من الضمائر التي تعود على المؤمنين، نعد الآيات التي تعود على الأنبياء منها ، لأن الأنبياء بالطبع مؤمنون مثل قوله تعالى : (لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) الآية ونظرا لعدم ذكر المؤمنين صراحة في النّص، فإنّ المرجعية لهم بصفة عامة مرجعية خارجية وتعرف من خلال السياق، فالآية (16) من المعروف أنّ الذين يصرف الله عنهم العذاب، هم المؤمنون، وهذا يعرف من خلال السياق الذي يوضح أنّ العذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين، وهذا يرجع إلى دور المتلقي في هذه المعرفة .

وهناك آيات كثيرة لا تدرك مرجعيتها إلّا بالسياق المحيط بالنّص القرآني، ونستعرض بعضها في مايلي (وهم ينهون عنه وينأون عنه) .

الآية السابقة على هذه الآية مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم في مثل : (إليك جاءوك يجادلونك) وهذه الآية تواصل ذلك الحوار، ومن ثمّ فالسياق اللغوي بين انذ الهاء في (عنه) و (عنه) ترجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكن السؤال :

إلى من ترجع الضمائر (هم) و (الواو) في(ينهون) و(ينأون) ؟

هذا الغموض من الصعب غزالته بدون الرجوع إلى السياق كما أكّد ذلك علماء النّصية، والسياق هنا هو مناسبة النزول . وبالرجوع إلى كتب وأسباب النزول نجد السيوطي يقول : " روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتباعد عما جاء به .

اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال : نزلت في عمومة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا عشرة ، فكانوا أشد الناس معه في العلانية ، وأشد الناس عليه في السر .

ويضيف الواحدي قوله : " وقال محمد بن الحنفية والسدى والضحاك : نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ، ويتباعدون بأنفسهم عنه .... .

وفي هذه المناسبة إجابة عن السؤال السابق، فالضمائر إمّا إلى عمومة النبي صلى الله عليه وسلم، أو مشركي مكة أو أبي طالب، وأيا كان المرجوع إليه، فإنّه لم يجر له ذكر صريح في السورة، ومن ثمّ فهي مرجعية خارجية تعتمد على السياق .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء) 93 .

فتوجد سبعة ضمائر اجتمع فيها الغموض لعدم معرفة المرجوع إليه ويقال إنّها نزلت في مسيلمة (ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله) قال نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيملي عليه :

عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ثمّ يقرأ عليه فيقول : نعم سواء فرجع عن الإسلام ولحق بقريش .

وأخرج عن السدى نحوه وزاد : قال : إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إلي، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثلما أنزل الله ، قال محمد : سميعا عليما ، فقلت أنا عليما حكيما " .

ما سبق في الغالب يرتبط بدور الضمائر الشخصية، حيث لوحظ أنّها تربط بدور الضمائر الشخصية، حيث لوحظ أنّها تربط بين كلمات الآية الواحدة، وبين آيات السورة، وبين النّص والبيئة المحيطة .

أمّا بالنسبة للإشارة فإنّها تقوم غالبا بالدور نفسه الذي تقوم به الضمائر الشخصية ، غير أنّ (هذا) لا تتعدى إشارته الآية الواحدة في الغالب .

أمّا ذلك فإن (ذا) يتعدى الجملة الواحدة إلى الربط بين أكثر من جملة أمّا الموصولات فإنّ دورها في التماسك النّصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة لكنها في النهاية ترجع إلى مرجوع واحد هو الله تعالى فمرجعية الذي على مستوى الجملة داخلية ، ولكن بملاحظة المرجعية العامة نجد أنّها تعود إلى الله تعالى وكذلك (الذين) أغلب مرجعيتها إلى المشركين ، وقليل منها يشير إلى المؤمنين .

فالضمائر الشخصية تحتل المرتبة الأولى في الانتشار في أرجاء السورة ، وفي دورها في تحقيق التماسك النّصي (الشكلي والدلالي)،ومن بعد تأتي الموصولات والإشارات ومن ثمّ كان عدد الضمائر الشخصية أكثر من الإشارات والموصولات بأضعاف كثيرة وبصفة عامة يلفت النظر وجود (1456) ضميرا في سورة الأنعام التي يبلغ عدد آياتها (165) آية، وهذا أمر يدعو للتأمل ، والقول بأنّ للضمائر دورا بارزا في تحقيق تماسك هذه السورة .

خاتمة

في الختام نستنتج أن كتاب " علم اللغة النصي لدكتور صبحي إبراهيم الفقي " كان بمثابة مدرسة لسانية توصل فيه مؤلفه إلى التنظير والتقعيد لهذا العلم ألا وهو اللسانيات النصية، كما تطرق فيه إلى مجموعة من نماذج التطبيقية التي تكمن في إستخدام أدوات التماسك النصي من السور المكية، ومن خلال هذا نذكر أهم النقاط المتوصل إليها :

ـ كان إختيار السور المكية بذات كونها تعالج في مجملها موضوع العقيدة.

ـ ميز النصي القرآني عن بقية النصوص الأخرى، لأنه إعتبر حتى الرموز والإشارات والصور عبارة عن نصوص تؤدي مجموعة من دلالات تؤثر وتقنع المتلقي.

ـ أنه لم يدرس النص كبنية منعزلة عن الملقي والمتلقي وإن حدث ذلك فلا وجود للتماسك النصي.

ونرجوا أن نكون قد وفينا بحثنا هذا حقه ولو بقليل، ونسأل الله أن يتقبل عملنا هذا وكل فوق ذي علم عليم لعملية التواصلية، ومنه فهذه نتائج كلها قد أعطت صورة قيمة للموضوع أو هذا العلم.

قائمة

المصادر و المراجع

~ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- المصادر والمراجع :

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دت.
2. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، مصر ، ط 2 1988.
3. استيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د . كمال بشر ، مكتبة الشباب القاهرة 1990 .
4. سعيد بحيري، علم لغة النص .
5. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،ج1، 1421هـ - 2000م .
6. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط 1.
7. مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دت.
8. محمد خطابي، لسانيات النص .
9. محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1991م.

فهرس الموضوعات

الفهرس

العنوان **الصفحة**

إهداء .
مقدمة .....أ–ب
تمهيد..... 4
المدخل..... 8

الفصل الأول : مدخل مفاهيمي.

المبحث الأول : مفهوم النص عند العرب وعند الغرب..... 14
المبحث الثاني : مفهوم علم اللغة النصي 18
المبحث الثالث : أهمية الدراسات النصية 20

الفصل الثاني : التماسك النصي.

المبحث الأول : مفهوم التماسك النصي وأهميته..... 24
المبحث الثاني : التماسك والسياق والمتلقي..... 32
المبحث الثالث : نماذج تطبيقية عن التماسك النصي وأدواته..... ... 37
خاتمة 60
قائمة المصادر والمراجع..... 62
فهرس الموضوعات 64

الملخص :

إن كتاب علم اللغة النصي يعتبر كفرع من فروع علم اللغة يهتم بدراسة النص وإعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسته من جوانب عديدة أهمها الترابط والتماسك ووسائله وانواعه، والسياق النصي ودور المشاركين فالنص (المرسل والمستقبل) وهذة الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء.

الكلمات المفتاحية :

علم ـ لغة ـ النص ـ علم اللغة ـ علم اللغة النصي .

Résumé :

Le livre de linguistique textuelle est considéré comme une branche de la linguistique qui s'occupe d'étudier le texte et de le considérer comme l'unité linguistique majeure, en l'étudiant sous de nombreux aspects, dont les plus importants sont la cohérence et la cohésion, ses moyens et ses types, la contexte et le rôle des participants dans le texte (expéditeur et futur) et cette étude comprend à la fois du texte parlé et écrit.

les mots clés :

Linguistique- texte- linguistique- linguistique textuelle .

Summary :

The textual linguistics book is considered as a branch of linguistics that is concerned with studying the text and considering it the major linguistic unit, by studying it from many aspects, the most important of which are coherence and cohesion, its means and types, the textual context and the role of the participants in the text (sender and future) and this study includes both spoken and written text.

key words :

Linguistics, text, linguistics, textual linguistics .